الإهداء

إلى أمي المجاهدة فقد بانت للناس أعظم مثل للصبر و التحمل

إلى والدي - رحمه الله - فقد رقد ضاحكا بعد أن ارتاح من

جهد الكفاح علي

إلى زوجتي الكريمة ربيع العمر و بسمة الحياة الجديدة

إلى بنيتي بشرى إحساس بوجودي الثاني

تشكرات

حينما يراودك إحساس الرهبة ، حينما تخالجك أشواق المحبة ، حينما يأطرك الاحترام ، و يجللك الوقار و أنت تجالس شخصا تمتح من معينه ، يبصرك بحقائق الأشياء و يسلك بك أيسر الطرق ، يمحض النصح لك ويصبر على رعونتك و تسرعك و تثاقلك فاعلم أنك أمام شيخ عالم

قد أدرك المعنى و سلك السبيل

ذاك الناصح هو أستاذي و مؤطري

الدكتور الذي حمل الشهادة و لم تحمله ، و شرفت به الجامعة إطارا و مؤطرا

الدكتور : **لطرش بولارباح**

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقـدمــة :

وصية المعتوه عنوان صادم مستفز ، لرواية تستبطن نفسية العربي في زمن التيه و المحن ، حيث الغياب في الحضور و الصراع في الخيال و الألم في الخفاء ، ذاك العربي الذي ضيع قضيته و استسلم لجلاده و مزقته الأفكار و تاه عن هويته ، فهو يبحث عن الأنا في ذاته و لا يسعفه الحضور وسط وطن تتآكله عادات بالية و استخذاء موهن و عزلة عن الحياة . و سلطة قد أوهنتها الفتن فلا تقوى إلا على التفنن في أذاه .

تلك هي الرواية الحدث للعام 2013 بنيل صاحبها جائزة الطيب صالح العالمية للرواية العربية ، و لم تنل حقها من الدرس و النقد ، و حري بها الدرس و التشريح و فك التشفير في بنياتها ، خصوصا أنها تحمل التوصيف الدقيق للعلة في النفسية العربية ، إنها وصفة تحمل خطة التطهير و العلاج في مضمراتها مما أوحى إلي بدراستها من خلال الدرس التداولي و بالضبط موضوع المضمر فيها ، إنها تعج بالمضمرات ، و إنما اخترنا منها ما يخدم الفكرة العامة وما آل إليه التأويل فيها .

نظن أنها دراسة جديدة ، و هنا تكمن صعوبتها ، و المضمر في ثوبه الغربي ضمن الدرس التداولي حديث النشأة و ما كتب فيه و جدد يكاد ينعدم بالعربية فيما هو بين أيدنا إلا ما كان من ترجمة لريتا خاطر لكتاب (المضمر) لأوريكيوني عن الفرنسية ، أو ما تناثر ضمن ما كتب عن التداولية كموضوع فيها ، أو ما كان عند طه عبد الرحمن ضمن كتابه الماتع (اللسان و الميزان) ، من هنا كانت الصعوبة ، ثم إن التطبيق على رواية تشتد صعوبته في كون الرواية جديدة و لم يسبق لها درس جاد من هذا الجانب ، و لأن تطبيق الدرس التداولي على الرواية له معارضون ، و قد لا يستسيغه الكثير من النقاد في وقتنا الراهن .

و قد سلك في البحث خطة قسمناها إلى ثلاثة أقسام : قسم خاص بالتداولية و المضمر فكانت الفصول كالتالي :

التداولية ثم وظائف التداولية و تطور مفهوم المضمر في الدرس التداولي

و خصائص الإضمار و أقسام المضمر و فيه الافتراض المسبق و فيه : تحديد المفهوم و عملية الافتراض و العلاقة التضمينية و عملية الافتراض و الإعلام و وضع الافتراضات التعبيري الأدائي و الافتراضات و تسلسل الكلام و أنماط الافتراضات .

ثم المضمنات و فيه التحديد و طبقات المضمنات و نمط ترسيخ المضمن و تكون المضمن طبيعة محتوى المضمن .

أما القسم الثاني فمررنا فيه سريعا حيث أثبت : الرواية الجزائرية والتعريف بالكاتب التعريف بالرواية و ملخص للرواية .

أما التطبيق و هو القسم الثالث ففيه : وصية المعتوه ، كتاب الموتى ضد الأحياء : التحليل و فيه جدوى دراسة المضمرات في الرواية الأدبية ثم العتبـــة ثم المضمرات في صاحب الوصية يموت أخيرا) والمضمرات في : بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي لماذا نقتل؟ ثم و لكني لم أحب فطيمة يوما ثم التطهير ثم الخلاصة و الخاتمة .

هذا و المرجع الأول في هذه الدراسة كتاب (المضمر كاترين كيربرات أوريكيوني) ترجمة ريتا خاطر ، و بعض المراجع الأخرى في التداولية على غرار التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني و كان لنا الاستفادة من اللسان و الميزان لطه عبد الرحمن و اجتهادات لغوية لتمام حسان و غيرهم .

و الحمد لله أولا و آخرا

القسم الأول

التداولية :

لقد انبثقت التداولية في تشكلها الأول من رحم الفلسفة التحليلية و فلسفة اللغة الطبيعة عند نهوض روّادها بالمنطق و إخراجهم للفلسفة من دوّامة الميتافيزيقا ، و راحوا يبحثون عن المعنى و كيفية توصيله من خلال اللغة و الإبداع ، و يبدو أن أعمال غ.فريجة gottlob frege (ت 1925) (وهو فيلسوف ألماني) في فصله بين اللغة العلمية و اللغة العادية قد وضع حجر الأساس لعلم الدلالة و من ورائها التداولية حيث تكلّم عن وظائف اللغة العادية و تعدد المعنى فيها وميّز بين اسم العلم و الاسم المحمول و بين المعنى و المرجع كما ربط بين مفهومين تداوليين هامّين هما الإحالة و الاقتضاء .

ليأتي لودفينغ فتغنشتاين Wittgenstein (ت1889- 1951) و هو فيلسوف إنكليزي من أصل نمساوي، بأن «فكرة الأقوال المنطقية هي من تحصيل الحاصل (tautologiques) و من ثمّ فهي فارغة من المعنى بما أنها لا تحيل على الواقع بل تشكل إطارا صوريا ما قبليا للمعرفة العلمية»[1] منتقدا بذلك «مبادئ "الوضعانية المنطقية " ، ليؤسّس اتجاها فلسفيا جديدا سماه : **"فلسفة اللغة العادية"** و قوامها الحديث عن طبيعة اللغة و طبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي . أهم ما ميّز فلسفته بحثه في المعنى و أن المعنى ليس ثابتا و لا محدودا»[2] مما يفسح المجال أمام التلاعب بالكلام و سمّاه(ألعاب اللغة) و اعتبرها «عصية على الحصر شديدة التنوع بحيث يعسر تصنيفها ضمن نمذجة شاملة»[3] . حيث سمحت له بالقول بعدم انفصال اللغة و الفكر بل ينبني أحدهما على الآخر بشكل متبادل يجريان متساوقين لغاية واحدة هي التواصل ، و استبدل مصطلح التواصلية بالتعبيرية ، «أي أن الفكر يتكون في جوهره من عبارات يوجد ما يقابلها في الواقع»[4]، ونفى أن تكون للفرد لغة خاصة به و إنما الفرد يتّبع في تراكيبه لغة عموم مجتمعه .

---

[1] - فيليب بلا نشيه . التداولية من أوستن إلى غوفمان . ت: صابر الحباشة .دار الحوار. سورية .ط 1 .2007. ص: 30.
[2] - المرجع السابق ص 29.
[3] - المرجع السابق ص 31.
[4] - سالمة صالح فرج . http://www.forum.3almani.org/viewtopic.php?f=7&t=505 تاريخ الدخول : 2009/10/25 على 22.30

لقد «ميّز بين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام و بين المعنى المقدّر الذي يرتبط بالجملة والناطق في كل ذلك يتبع قاعدة و يمتثل إليها و هي لا تعدوا في رأي فيتغنشتاين كونها لعبة من ألعاب اللغة شأنها في ذلك شأن الممارسات الأخرى ،(لعبة الشطرنج و غيرها)»[1]

و لا شك أن فلسفة اللغة العادية هي أحد الفروع الثلاثة التي انبثقت من الفلسفة التحليلية وهي الظاهراتية والوضعانية المنطقية ثم فلسفة اللغة العادية و هي في صميم البحث التداولي الذي نظّر له فلاسفة أوكسفورد بعدما تبنّوا أراء فيتغنشتاين و طوروها خصوصا أوستن و من بعده تلميذه سيرل و غيرهما و بالذات آرائهم في نظرية الأفعال الكلامية .

<u>آراء ج.ل.أوستن</u> :لقد كانت مساهمة[2] أوستن في بناء الدرس التداولي على ثلاث مراحل فصّلها طالب سيد هاشم الطبطبائي في كتابه "نظرية الأفعال الكلامية " نلخص مجملها في ما يلي :

مرحلة تقسيم الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى وصفية وإنشائية:

في الإنجليزية تقسم الجملة بحسب الصيغة إلى جملة خبرية , جملة أمرية , جملة استفهامية ,و قام أوستن بتقسيم الجملة الخبرية نفسها إلى وصفية و إنشائية حيث وضع تحت الإنشائيات جملا التلفظ بها هو جزء من القيام بالفعل في الظروف المناسبة مثـّل لها ب :

1- أقبل [أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية] و هذا في ظرف عقد الزواج و يسمى عندنا الإيجاب و القبول يقول الزوج أو وليّه نطلب يد ابنتكم فلانة لابننا فلان فيرد وليّ الزوجة قبلنا أو أعطيناكم , فهذان القولان أنشآ علاقة زوجية
2- أراهنك بست بنسات على أنها ستمطر غدا . فمجرد التلفظ بهذه الجملة قد قمت بفعل الدخول في الرهان .

[1] - خليفة بوجادي .في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي.بيت الحكمة . الجزائر.ط 1 2009 ص 52 .

[2] - عندما ألقى محاضرات وليام جيمس عام 1955 في أوكسفورد

ففي هذين المثالين لم أصف و لم أخبر بل قمت بفعلين .

«ففي هذه المرحلة عمّق أوستن مفهوم الجملة التي تقبل الصدق و الكذب بحيث لم تعد مجرد جملة ذات صيغة خبرية بل علاوة على ذلك يجب أن تكون جملة وصفية , مستقطعا بذلك من الجمل ذات الصيغة الخبرية الجمل التي لا يراد بها الوصف , بل يراد بها الفعل لتكوّن القسم الآخر من الجمل ذات الصيغة الخبرية و هي الجمل الإنشائية» .

و اعتبر اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد[1] " أفعل, سأفعل"

أو اشتمالها على فعل بصيغة المبني للمجهول بضمير المخاطب أو الغائب[2] مثل : "المسافرون منذرون بوجوب العبور بطريق الجسر فقط " , " بموجب هذا أنت مفوض" فيما يخص الوثائق التي تشتمل على هذه العبارة **هي جملة إنشائية** , أطلق عليها عدة تسميات قابلها الطبطبائي في العربية بصائبة و خاطئة .

المرحلة الثانية إعادة النظر في التقسيم السابق :

تبين لأوستن أن تقسيم الجملة الخبرية إلى وصفية و إنشائية تبعا لاشتمالها على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد و هو المعيار الأول غير جامع و لا مانع , ففي المثال:

- أنا أقرر أن الأرض كروية .

حتى وإن اشتمل على تلك الصيغة وأريد بها الأرض كروية أصبح خبرا لا إنشاء

و قد حاول أوستن حل هذه المشكلة فقسّم الجمل الإنشائية إلى قسمين إنشائيات أولية و إنشائيات صريحة .

[1] - وهو المعيار الأول

[2] - وهو المعيار الثاني .

المرحلة الثالثة توحيد الجمل و تحليلها إلى قوة و قول :

رجع أوستن و تساءل :" كم معنى هناك على أساسها يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء , أو يكون متضمنا في قولنا شيئا فعلنا لشيء معين , أو ...يكون بواسطة قولنا شيئا فعلنا لشيء ما"

و في جوابه لهذا السؤال ميـّز أوستن أفعالا ثلاثة ترتبط بالقول هي :

1- *فعل القول* : و هو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى و مشار إليه و هو غير كاف لإدراك أبعاده فقولنا : "إنها ستمطر"

إذ تشتمل على الإخبار بهطول المطر , و التحذير من عواقب الخروج في رحلة , و الأمر بحمل مظلة .

لذا يضيف أوستن لفعل القول :

2- *فعل متضمن في القول* : و من أمثلة ذلك عنده : السؤال أو إجابة السؤال , تقديم معلومات أو تأكيدات أو إصدار تحذير أو تهجئة جملة ... إلى غير ذلك .
فالفرق بين الفعل الأول و الثاني هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيام بفعل هو قول شيء .

زاد الثاني عن الأول بالقوة فيقال للجملة السالفة في موضع محدد أن لها قوة الخبر أو في موضع آخر أن لها قوة التحذير و في غيره أن لها قوة الأمر ...الخ .

و على هذا الأساس اقترح تسمية النظرية القائلة بتنوع وظائف اللغة نظرية "القوى المتضمنة في القول ".

3- *الفعل الناتج عن القول , أو الفعل بواسطة القول* : و هو الأثر الذي يحدثه القول سواء في المتكلم نفسه أو في المخاطب .

و قسم أفعال الكلام تقسيما لم يرضه إلا مبدئيا إلى : الحكميات , الإنفاذيات , الوعديات ,السلوكيات , التبيينيات .[1]

ثم جاء **سيرل**و ميــّز بين الفعل المتضمن في القول و فعل القضية (المحتوى القضوي) أي فعل التعبير عن القضية لاختلاف شروط الهوية فمثلا :

سوف آتي . (خبرا)

سوف آتي . (وعدا)

لهما فعل قضوي واحد . لكنهما فعلان مختلفان من الأفعال المتضمنة في القول .

ثم حدد مفهوم القوة المتضمنة في القول بتحليله إلى أجزاء سبعة :

1- الغرض المتضمن في القول: و هو أهمها و الباقي إما أنماط مختلفة أو لواحق لها علاقة به

2- درجة الشدة للغرض: فالأمر بشيء و العزم بالأمر بنفس الشيء يختلفان قوة وضعفا

3- نمط الإنجاز: فصاحب السلطة ذو أمر يختلف عن غيره إذ نمطه رسمي من موقع سلطة

4- شروط المحتوى القضوي: مثل الوعد إذ لا يقع إلا في المستقبل

5- الشروط المعدة: لنجاح الفعل وصحته فالوعد بشيء مضر بالمخاطب ناجح فعلا فاسد نتيجة

6- شرط الصراحة :وهو تعبير عن الحالة النفسية فمن يقرر فهو يعبر عن اعتقاد ومن يعِد فهو يعبر عن نية ...

7- درجة شدة شروط الصراحة: فطلب شيء أو التوسل في طلبه أو الاستجداء درجات في شدة الصراحة [2]

و يحدد سيرل شروطا لنجاح العمل المتضمن في القول :

---

[1] - أنظر تفصيل هذه المراحل في : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب .الطبطبائي .مطبوعات جامعة الكويت . الكويت.د ط .1994 .من 3 إلى 9.

- و آن روبول و جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل ت سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة .بيروت.ط 1 .2003 ص 28 – 33 .

[2] - أنظر التفصيل في الكتاب السابق . ص من13إلى26 .

فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل (يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها و يتحدثون بنزاهة ..)

و قاعدة المحتوى القضوي (يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل)

و القواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثـّل الخلفية

و قاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنية للقائل

و القاعدة الجوهرية التي تحدد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين

و قواعد المقصد و المواضعة التي تحدد مقاصد المتكلم و الكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد .[1]

و قد قسم سورل الأعمال المتضمنة في القول إلى خمسة أقسام :

- الإخباريات : حيث اليقين مثل "سيأتي غدا"
- الطلبيـــات :حيث الرغبة و الإرادة مثل "أخرج"
- الوعديـــات: حيث صدق النية و مثاله "سوف آتي"
- الإفصاحات: تعبير عن الحالة النفسية و مثاله "أعذرني"
- التصريحيات: حيث يكون الهدف إحداث واقعة و مثاله قول القاضي" افتتحت الجلسة"[2]

وبظهور مفهوم الأفعال الكلامية يكون المنهج التداولي قد أخذت أساسياته تتضح و مفاهيمه تُطرَق آخذة بأعناق بعضها ببعض فعند حديثهم عن الفعل الكلامي جرّهم للكلام عن القصدية ثم الاستلزام التخاطبي عند غرايس و من بعدها نظرية الملائمة عند ديردر ولسن و دان سبربر و تكلموا عن الحجاج - موضوع الدراسة – ديكرو و غيره .

لكنهم لم يحدّوا للتداولية حدّا تستقرّ عنده الأفهام فلكلٍّ رأي في تعريفها و إن لم يجمع و يمنع, و باتت تعاريفهم تحوم حول **علم الاستعمال اللغوي** و إن كان فضفاضا يسمح لعلوم أجنبية بالانضواء تحته . يقول فان ديك : «لسانيات الاستعمال اللغوي, موضوعها توظيف

[1] - آن روبول و جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل ت سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة .بيروت.ط 1 .2003 ص 34

[2] - فيليب بلانشيه . التداولية من أوستن إلى غوفمان ..ص 66 . بتصرف .

المعنى اللغوي في الاستعمال الفعل»[1] كما أنها «تشرح وضعية التواصل و سياقه , و تفتح أبواب دراسة ما لم يقل»[2] فهي تنتمي إلى علم اللغة, كما تنتمي إلى علم النفس, و علم الاجتماع ذلك أنها تميز أساليب فهم الخطاب و توسّع أكثر عملية التواصل ,و تـُعدّ المكون الثالث للغة بعد المكوّن التركيبي و المكوّن الدلالي .

لذلك تكتسي التداولية أهمية بالغة في تحليل الخطاب بعـدّه نشاطا فاعليا أساسا , يعتمد المعارف المقامية و السياقية . مبرزة المناحي النصية فيه من محادثة و محاججة وتضمين ؛ بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع.[3]

[1] - خليفة بوجادي . في اللسانيات التداولية .ص 69.
[2] - المرجع نفسه.ص 71.
[3] - المرجع نفسه ص 135.

وظائف التداولية:

تعد التداولية – باعتبارها إستراتيجية هامة في تحليل الخطاب – أقدر و أصلح المناهج بما تتيحه من إجراءات فعالة وهذا يعني " الجمع بين المنهج البنائي الوصفي و المنهج التفسيري .... لأننا نحتاج إلى تفسير الظواهر الأدبية أكثر من وصفها , وأن الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ"

لقد تجاوزت التداولية وظيفة التواصل للغة و قالت بتعدد وظائفها حيث التأثير في السلوك الإنساني وظيفة أخرى لها , و إن كان ياكبسون قد أشار إلى تعدد وظيفة اللغة في خطّـاطته و كذا مع بوهلر و هاليداي و غيرهما في إطار جهود الوظيفيين . و قد ذكر سيمون ديك أن التواصل بوجه عام يقتضي ثلاث بنى متضافرة هي : البنية التداولية التي تحكمها طبيعة التواصل و شروط الأداء , ثم البنية التركيبية و تحددها العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية , و تليها أخيرا البنية الدلالية التي يحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقا و مقاما .

و مهمّة الوظائف التداولية في تفسير الظواهر الأدبية أن تحدد وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية في علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها .

«و استنادا إلى (سيمون ديك) جعل المتوكل وظائف التداولية نوعين : داخلية و خارجية . و تشمل الوظائف الداخلية وظيفتي المحور و البؤرة . بينما تشمل الخارجية وظيفتي المبتدأ و الذيل . يضيف المتوكل وظيفة المنادى للوظيفة الخارجية ؛ فالوظيفة المحور هي الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب . [ففي سورة القارعة مثلا تشكل القارعة و هي يوم القيامة المحور إذ هي موضوع حمولة المعلومات في السورة] .

أم الوظيفة البؤرة و - هي تكتسي أهمية بالغة داخل الجملة و النص عموما – تستند إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة , و لا تستند إلى الحمل و لا إلى أحد حدوده ؛ نحو أغدا ألقاك ؟. فالبؤرة في (أم بعد غد) , أو إنما زيد مسافر. البؤرة (غير موجود) فكأن البؤرة هي الغاية المقصودة و قسمها المتوكل إلى

بؤرة الجديد : ترتبط بالمكـوّن الحامل للمعلومة المجهولة.

بؤرة المقابلة : ترتبط بالمكـوّن الحامل للمعلومة التي هي محل شك أو إنكار من المخاطب .

أما الوظائف الخارجية فوظيفة المبتدأ و هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا نحو (زيد , أبوه مريض)

ثم الوظيفة الذيل إذ تسند إلى المكوّن الدال على الذيل و هو الحامل للمعلومة التي توضح معلومة داخل الجمل أو تعدّلها أو تصححها , [نحو زيد وسيم , خصوصا في عينيه].

و الوظيفة المنادى : تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين ».[1]

[1] - المرجع السابق ص 117-122 . بشيء من التصرف .

3- تطور مفهوم المضمر في الدرس التداولي :

إن الأصل في (الخطاب) التصريح بأجزائه جميعها ، و هذه الأجزاء هي المقدمة و النتيجة .. و ينبني على هذا الأصل الفرعان التاليان :

- أولهما : إذا احتمل الخطاب أن تكون أجزاؤه مصرحا بها و أن تكون غير مصرح بها ، كان حمله على التصريح بها أولى .
- ثانيا : إذا احتمل الخطاب أن يكون القليل من أجزائه غير مصرح به ، و أن يكون الكثير منها غير مصرح به ، كان حمله على عدم التصريح بالقليل أولى .

3-1-خصائص الإضمار :

- **الإضمار و أشباهه من الألفاظ :**

لقد وضع مصطلح الإضمار للتعبير عن معنى عدم التصريح .. فقيل معنى مضمر و قضية مضمرة كما في الدليل الآتي :

هذا النبيذ مسكر ، فكان حراما

فقد أضمرت فيه المقدمة التالية : المسكر حرام

لكن العادة جرت باستعمال ألفاظ أخرى للدلالة على نفس الغرض ، و أكثرها تداولا الحذف ، الترك ، الاستتار .. مما يتعين علينا النظر فيما يختص به الإضمار من دون هذه الألفاظ المتداولة .

الإضمار و الحذف : يصح أن يقال إن كل مضمر محذوف ، باعتبار أن الحذف هو إسقاط الكلام ، إن جزءا أو كلا ، لكن لا يصح أن يقال : إن كل محذوف مضمر لكون الأول أعم من الثاني ، فقد يحذف المتكلم من كلامه ما لا علم له به ، فلا يكون مطالبا بتقدير ما حذف و لا بتصديقه لثبوت جهله به ، بينما مقتضى الإضمار أن يكون حذفا لما هو معلوم للمخاطب ، فيستحق أن يسأل عما أضمر .. فالإضمار إذن حذف لا عن جهل ، بل حذف يطال فاعله بإثباته .

الإضمار و الترك : يجوز أن يقال : إن كل مضمر متروك ، بوصف الترك هو أيضا إهمال لبعض الكلام أو لكليته ، و لا يجوز أن يقال كل متروك مضمر ، لكون الأول أعم من الثاني ، فقد يترك المتكلم من كلامه ما غافل عنه .. ذلك أنه إذا ذكر المتكلم بشيء كان غافلا عنه لم يزدد بذلك علما .. و لما كان المتكلم غافلا عما ترك ، فقد خلا فعله عن غرض الاستفادة من إيقاع الترك في كلامه ، أما الإضمار فهو ترك يستثمره المستدل لفائدة.

وليس من شطط إن ادعينا أن المضمر أولى بالإرادة من المصرح به ، لأن المعنى الحقيقي للمصرح به متعلق تعلقا مباشرا بألفاظه من غير ضرورة توسط إرادة المتكلم لهذا المعنى ، بل قد تكون هذه الإرادة تابعة لدلالة هذه الألفاظ ، أما المضمر فمعناه غير متعلق بالألفاظ تعلق المصرح به ، فنحتاج إلى إقرار إرادة المتكلم له .[1]

هذا و يعتبر المضمر أس اللسانيات التداولية و يكاد يكون هو السبب المباشر في ظهورها بعدما تخلت اللسانيات العامة عن معالجة بعض مظاهر اللغة المتصلة بالمعنى في خفائه و تنوعه و تعدده داخل دورة الخطاب بسبب تغيرات السياق الداخلية و الخارجية تحكمه القصدية سواء في ظهوره أو خفائه ؛ في قربه أو بعده ، وفق مبادئ الخطاب و شروط نجاحه .

و منذ ظهور الأفعال الكلامية عند فلاسفة أوكسفور مع أوستين و البحث في متضمنات القول مستمر لما لها من أهمية في إرساء قواعد نظرية الأفعال الكلامية ، و هو يقسّم الضمني إلى ثلاث : 1- ما يؤدي إليه . 2- ما يفهم منه . 3- ما يقتضيه .

« فهو يصنف ضمن (ما يؤدي إليه) علاقات الاستلزام و التناقض من وجهة نظر منطقية ، إنه لا يمكننا أن نؤكد في الوقت ذاته ملفوظين متناقضين ... بينما يضع ضمن (ما يفهم منه) الاستلزام المسمى استلزام الاعتقاد و استلزام المصداقية و هو شرط أساسي لنجاح

[1] - من كلام طه عبد الرحمن . اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي . المركز الثقافي العربي . المغرب . ط 1 . 1998. ص 145 و ما بعدها .

الإخبار ؛ أن يفهم منك أنك تؤمن بما تقوله . و يضع استلزام الوجود ضمن (ما يقتضيه) فأن تقول : إن أطفال زيد كلهم صلع ، يقتضي أن لزيد أطفال»[1] .

و يسمي سورل الضمني (مفهوما) و يعتبره الشرط السياقي لنجاح عمل لغوي . يقول سورل في كتابه الأعمال اللغوية :« كلما خصص شرط المصداقية حالة نفسية ، فإن إتمام العمل المطروح يكون بالتعبير عن تلك الحالة النفسية ... هكذا فإن الإخبار ... يكون بالتعبير عن الاعتقاد ... الطلب ... يكون بالتعبير عن الأمية أو الرغبة ... و الوعد ... يكو بالتعبير عن الغرض ... . إذا كان شرط المصداقية يخبرنا عما يعبر عن المتكلم بإتمام العمل ، فإن الشرط التمهيدي يعلمنا على الأقل جزئيا ما يفهم من المتكلم و هو يتم ذلك العمل . و بشكل عام يفهم من المتكلم أن شروط العمل التمهيدية هي شروط كافية ، و ذلك إتمام المتكلم أي عمل لا قولي . لذلك فإنني عندما أؤكد شيئا ما مثلا ، فإنه يفهم مني أني قادر على دعم ذلك التأكيد »[2] .

أما هـ . ب . غرايس فقد اشتغل على المضمر أساسا ، و قد قاده ذلك إلى وضع قواعد الخطاب الشهيرة ، التي تدور حول مقاصد المرسل من المتعارف عليه في سياقاته المختلفة الداخلية و الخارجية . و أعني من المتعارف عليه تقاليد الخطاب في مجتمع ما ... تقول كاترين كيربرات أوريكيوني : « تتعدد الصفات (بلاغية أم تداولية تواصلية) أم (بلاغية تداولية تواصلية) أم (تداولية تواصلية بلاغية) و السؤال واحد : ما هي الصفة الأنسب التي يجب أن نطلقها على هذه الكفاءة التي تشكل مجموعة المعارف التي يملكها المتكلم المتفاعل بشأن طريقة عمل هذه المبادئ ... و نسميها تبعا للظروف قواعد أو (مبادئ تحادثية) بحسب غريس و (قوانين الخطاب) بحسب ديكرو و (مسلمات التحادث) بحسب غوردون و لاكوف و أخيرا (مسلمات التواصل السوي) بحسب ريفزين أما في كتابنا الذي يحمل عنوان فعل القول فننسب إليها بكل بساطة صفة (البلاغية) ... و سنستهلها بالقواعد **التحادثية الغريسية** الشهيرة التي تظهر في هذا الشأن بمظهر المرجع الذي لا يمكن التغاضي عنه .

---

[1] - فيليب بلانشيه . التداولية من أوستين إلى غوفمان . ت صابر الحباشة . دار الحور . سوريا . ط 1 . 2007 .ص 146 . بتصرف .

[2] - المرجع السابق. ص 147.

و كما نعلم ، يبلغ عدد هذه القواعد التي أمست شمولية بفضل مبدأ التعاون العام ، و مفاده : (فلتتناسب مساهمتك التحادثية مع ما هو مطلوب منك ، عند المستوى الذي تبلغه هذه الأخيرة ، و عبر الغاية أو المنحى المقبول من التبادل الكلامي المحكي الذي تكون ملتزما فيه) الأربع قواعد ، و تتمثل في :

1- **قاعدة الكم** ، و تنص على ما يلي :

لتشتمل مساهمتك على قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب مراعاة لأهداف التبادل الظرفية .

تجنب أن تشتمل مساهمتك على عدد من المعلومات يفوق ما هو مطلوب .

2- **قاعدة النوع** ، و تنص على ما يلي :

فلتكن مساهمتك صادقة ، أي :

- لا تؤكد ما تعتقد ،أنه خاطئ .
- لا تؤكد ما تفتقر إلى الأدلة عليه .

3- **قاعدة العلاقة** ، و تنص على ما يلي :

ليكن كلامك مناسبا للغرض ليكن كلامك وثيق الصلة بالموضوع

4- **قاعدة الصيغة الكيف** ، و تنص على ما يلي :

كن واضحا توخى الوضوح ، أي

- تجنب التعبير بغموض .
- جنب الإبهام في كلامك .
- تحدث باقتضاب و لا تكن مطنبا أكثر مما ينبغي
- كن منهجيا في حديثك . »[1]

و لشرح مبدأ التعاون يقول جورج يول : « تأمل السيناريو الآتي : هناك امرأة جالسة على مقعد في حديقة عامة و أمامها كلب ضخم مستلق على الأرض . جاء رجل و جلس على المقعد إلى جانب المرأة .

[1]- كاترين كيربرات أوريكيوني . المضمر . ت ريتا خاطر . بيروت . ط 1 .2008 . ص 345-346.

الرجل : أيغض كلبك ؟

المرأة : كلا .

حاول الرجل مداعبة الكلب . عض الكلب يد الرجل .

الرجل : آخ ! أنت ! قلت أن كلبك لا يعض .

المرأة : هذا صحيح ، و لكن هذا ليس كلبي .

ترتبط إحدى مشاكل هذا السيناريو بالتواصل ... و يبدو أن سبب المشكلة بالتحديد هو الافتراض الرئيس أن ما تم إيصاله يفوق الذي قيل . لا ترتبط المشكلة بافتراض مسبق لأن الافتراض في كلبك أي للمرأة كلب صحيح للمتكلمين كليهما . تكمن المعضلة في افتراض الرجل أن سؤاله أيعض كلبك ؟ و جواب المرأة كلا يتعلقان بالكلب الذي أمام المرأة . من منظور الرجل ، يشتمل جواب المرأة على معلومات أقل مما يتوقع أي – بعبير آخر - كان ينتظر من المرأة أن تدلي بالمعلومة الواردة في السطر الأخير من المحادثة حالما سألها ... يمثل مفهوم توفر قدر متوقع من المعلومات في محادثة مظهرا لفكرة أعم مفادها أن الأشخاص المشتركين في المحادثة سيعاون أحدهم الآخر . بالطبع ، قد ترغب المرأة في التلويح إلى رغبتها في عدم الاشتراك في أي تفاعل تعاوني مع الرجل الغريب ».[1]

2-3-أقسام المضمر :

إن تقسيم المضمر إلى افتراض و تضمين يبدو وجيها ، ففي التضمين مدلول خارج البنية اللغوية عكس الافتراض، والإضمار إخفاء و هو معنى يحتملهما :

[1]- جورج يول . التداولية . ت قصي العتابي . الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت . ط 1 . 2001 . ص 66-67. و ما بعدها

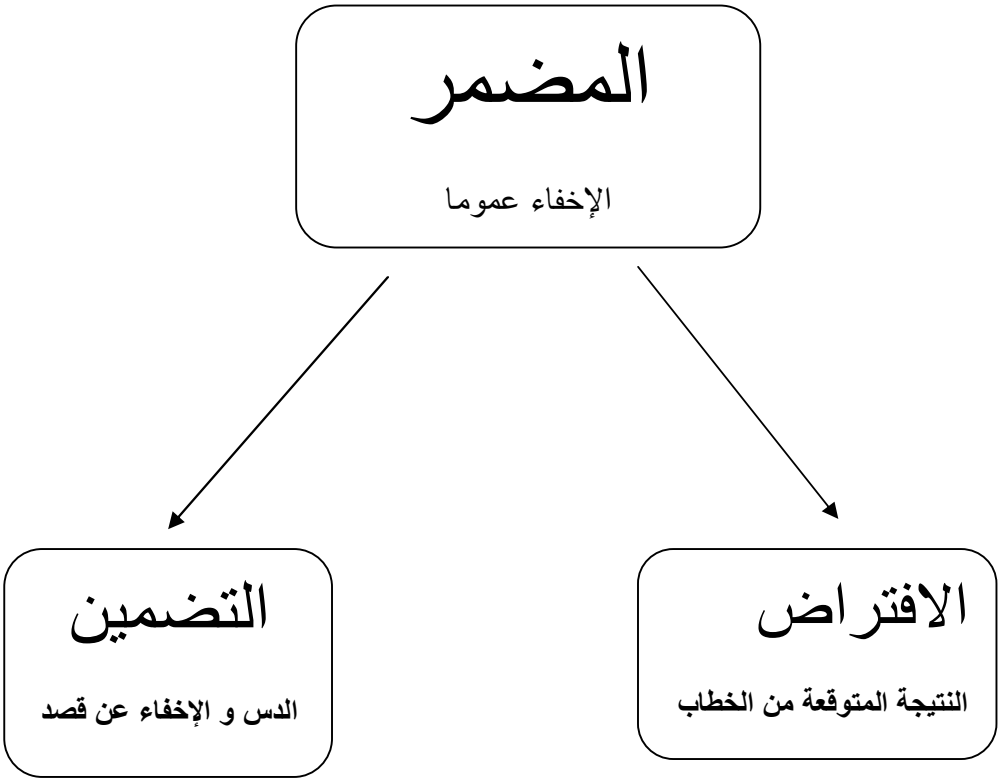

و فيما يلي تفصيل لحدودهما و شرح للعلاقة بينهما .

3-3-الافتراض المسبق

3-3-1- تحديد المفهوم : تصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي و إن لم تكن مقررة جهرا أي تلك التي لا تشكل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله ,إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي.

تكون الافتراضات من حيث المبدأ منعدمة السياق ، في المثل الآتي :

أقلع زيد عن التدخين

يكون الفعل أقلع ناقلا افتراضا معجميا في هذه الجملة و :

كان زيد يدخن سابقا

لكن ما الذي جعل الفعل أقلع ينقل هذا الافتراض بالذات في حين أن المعاني ينقلها هذا الفعل متعددة ، و بالتالي إن السياق النصي هو الذي اضطلع بإزالة هذه التعددية

3-3-2- عملية الافتراض و العلاقة التضمينية :

و من شروط الافتراض الصحة بالضرورة و إلا فقد القول أية قيمة له ، مثاله :

أقلع زيد عن التدخين

لكن زيدا ليس مدخنا ، فكيف يقلع عن التدخين ، فظهر أن في هذا القول مغالطة و بالتالي نشأ هذا التحديد عند فريجة Fregeو ستراوسنStrawson الذي مفاده : إنه وحدة من وحدات المحتوى التي ينبغي أن تكو صحيحة بالضرورة كي يكتسب القول الذي ينطوي عليها إحدى قيم الحقيقة .

و حقيقة الافتراضات أنها تشكل نوعا من التهيئة لمتابعة تبادل الكلام و إلا انقطع.

3-3-3- عملية الافتراض و الإعلام :

الافتراضات لا تأتي بجديد إنما تتعارض مع المحتويات المقررة تعارض ما يفترض أن يكون معلوما مع ما يفترض أن يكون مجهولا

وبكلام آخر، من المفترض أن تتطابق المحتويات المصوغة على شكل افتراضات مع حقائق معروفة سلفا ومقبولة من المرسل إليه ، كأن تكون مستمدة مثلا من معرفته الموسوعية الخاصة ، أو أن تتلاءم وبديهيات من المفروض أن يتشاطرها عموم الأشخاص المنتمين إلى جماعة المتكلمين و عليه كون هذه المحتويات من المسلم بها ... بخلاف المحتويات المقررة و المضمنات التي تشكل معلومات جديدة فتكو بالتالي قابلة للنقاش عل نطاق واسع .

و عليه فهي تشكل بالنسبة إلى الخطاب نوعا م أنواع قواعد البناء التي تبنى عليها المحتويات المقررة ، و ثانيا أنها تؤمن بفضل الغطاء الافتراضي تماسك الخطاب و

إطنابه الداخليين ، في حين تتكفل المحتويات المقررة بتدرج ، و ثالثا : إها تكون على مستوى تفاعلي أوسع نوعا ما من اللحمة الاجتماعية أي منطقة من التوافق بين المتفاعلين

لكن يحترز المخاطب من الافتراض إذا كان مثيرا للاهتمام لأنه سينتقل من الافتراض إلى التقرير الذي هو إخبار بجدارة و بالتالي يقع الإشكال في الخطاب أو القول ذاته فلا يمر بسهولة . مثاله :

- هذا الجهاز من أجود الأجهزة التي أحضرتها من أمريكا

إذا كان المخاطب لا يعلم بذهابك إلى أمريكا فسيندهش :

- و متى ذهبت إلى أمريكا ؟

و بالتالي انقطعت سلسلة تتابع الكلام و تغيرت وجهته فلم يعد الذهاب إلى أمريكا افتراضا بل إخبارا .

3-3-4- وضع الافتراضات التعبيري الأدائي :

يرى ديكرو أنه لا تتشاطر الافتراضات و المحتويات المقررة الوضع التعبيري الأدائي نفسه ، و في الواقع يستتر خلف المتكلم المنفرد الذي ينطق بالجملة ... قائلين متباينين (أي يتحمل مرجعان مسؤولية المحتويات القولية ألا و هما : القائل المسؤول عن المحتوى المقرر ، و هو المتكلم نفسه ، في حين يكون قائل الافتراض صوتا جماعيا يضم المتكلم المنفرد صوته الخاص إليه ، و يكون هذا المرجع مغفلا و جمعيا و حتى شموليا ...

لكن المرجع الجماعي و الشخص الفردي يظهران في قائل الافتراض . و المعنى أن مسؤولية التعبير عن الافتراضات متعلقة بالمتكلم وجوبا .

3-3-5- الافتراضات و تسلسل الكلام :

و الافتراضات تؤدي دور القاعدة في التسلسل الكلامي ، و إن بدت غير ذلك أحيانا لأن المتكلم يهدف أحيانا إلى :

- تصويبها : مثاله :[أعتذر عن ضرب ليلى إن كان أنا من ضربها . طبعا فهو ها يسلسل كلامه بطريقة لبقة لبني افتراضا صحيحا على أنقاض افتراض خاطئ موجود في ذهن المخاطبين و هو أنه هو من ضربها عمدا فبدأ بنفي العمد ليكسر من حدة اليقين عندهم ثم يسلسل كلامه لينفي الضرب أصلا ..]
- و إلى شرحها و تبريرها و تأييدها ن خلال توسع ألسني لغوي انعكاسي يستهل عادة بعبارات كالتالية : إذ إن ... و ذلك لأن ... بما أن ... على غرار :

زوجتي بما أن لدي زوجة ...

حكم القاضي – إذ إن القاضي حكم للتو - ...

كلامي واضح ذلك لأني شرحته لكم ...

و هي تظهر بشكل جمل اعتراضية القصد منها ...

3-3-6- أنماط الافتراضات :

نمط الركيزة الدالة : و هي المسؤولة عن وجود الافتراض الذي يكون :

- إما **<u>طبيعة معجمية</u>** : و هكذا تنطوي الوحدات المعجمية التالية على افتراضات ألا و هي :

1 <u>الأفعال المظهرية</u> أو التحويلية على غرار الأفعال التالية : أقلع عن ، استمر في ، انكب على ...

2 <u>الأفعال الانتقالية</u> على غرار الأفعال التالية : علم ، ندم . و الانتقالية المضادة ، على غرار : ادعى و خال التي تفترض حقيقة أو زيف محتوى الجملة المتممة للفائدة التي تُستهل بهذه الأفعال و بشكل عام أكثر مجمل الأفعال الذاتية التي تنطوي على افتراض شخصي أو قيمي .

3 <u>بعض المورفيمات</u> من مثل : لكن ، كذلك ، حتى ، مجددا، أصلا ، بعدُ ، و مثاله هل يصدق أحد منكم بعد بجود العفاريت ؟

4 بشكل عام أكثر ، تضرب جذور عدد لا يستهان به من الافتراضات ، و المسألة تتعلق هنا على وجه الدقة بحالة العلاقات التضمينية في بنية المعجم و نذكر منها علاقات التضاد كالعبارة التالية مثلا : هذا الكرسي أحمر اللون و تعني ضمنا : ليس أخضر اللون و علاقات الأسماء المندرجة و الأسماء النوعية [من مثل المرادفات] مثل : هذا كرسي تعنى ضمنا هذا مقعد .

أو **ذا ركيزة نحوية** ترتبط مثلا :

1 بالعبارات المعرفة
2 بالتوسعات النعتية أو تلك المتعلقة بصلات الوصل
3 بالأنظمة المتبعة على غرار التي تنطوي على أسماء التفضيل و الفرضيات و الجمل السببية.
4 بالبنى الممفصلة على غرار المثل التالي : فلان هو من غادر و يعني ضمنا أحد ما غادر.
5 بالأسئلة حول الأجزاء المكونة للجملة على غرار : من غادر و يعني ذلك ضمنا أحد ما غادر ...

3-4- المضمنات :

3-4-1- **التحديد** : تضم طبقة المضمنات كل المعلومات القابلة للنقل عبر قول معين و التي يبقى تفعيلها **خاضعا لبعض خاصيات السياق التعبيري الأدائي** ، و المسؤول عن التفعيل هو **القصد** أي ما يرمي إليه المتكلم . فالعبارة من مثل : هل تستطيع أن تناولني الملح ؟، لا يقصد صاحبها ؛ هل بإمكاننا أن نناوله الملح بل يقصد : ناولني الملح ، و هذا المعنى لا تحمله البنية اللغوية للعبارة الأولى : هل تستطيع أن تناولني الملح ؟ إلا عبر مراحل عشر من الاستدلال ، و لنفترض أن الخطاب جرى بين صالح و زيد :

زيد: هل تستطيع أن تناولني الملح ؟

« فصالح بعد أن طبق القواعد الدلالية للأعمال اللغوية و فطن إلى أن قول زيد يمثل سؤالا ، التجأ إلى المعارف المحصلة سابقا ، فأدرك أن السؤال لا يناسب كثيرا مقام التواصل ،و استدل بواسطة مبدأ التعاون أن الاستفهام ليس هو على الأرجح العمل المتضمن في القول المقصود ، ثم عاد إلى المعارف في الالتماس الذي قصد زيد إنجازه ، و وفق شروط الالتماس فإنه على الشخص الذي نتوجه إليه بالكلام أن يكون قادرا على العمل المطلوب ، و بفضل هذا الشرط تعرف صالح أخيرا على مقصد زيد لأن قول زيد من جهة دلالته هو سؤال عن شرط النجاح هذا . و بعبارة أخرى و حسب سيرل يكفي أن نطرح سؤالا حول الشروط التحضيرية للالتماس ؛(قدرة المخاطب أو رغبته في إنجاز العمل المطلوب) لننجز العمل الأولي للالتماس بصورة غير مباشرة . و هكذا نرى أن لمبدأ التعاون دورا محدودا جدا في عملية التعرف على العمل غير المباشر . **فالدور الأساسي منوط بنظرية الأعمال اللغوية و باللجوء إلى المعارف المشتركة المحصلة سابقا [في جماعة لغوية معينة]** »[1]

تقول أوريكيوني : تعد (التضمينات) بمثابة القيم المتبدلة و المتقلبة و التي يمكن إبطالها ... فهي تتميز بعدم الثبات و عليه يمكننا كشف النقاب عنها بفضل اختبار القدر على الحذف الذي يلجأ إليه غريس بهدف تحديد العلاقات التضمينية التحادثية ...

3-4-2- **طبقات المضمنات** [2]:

3-4-2-1- نمط ترسيخ المضمن : لمعرفة إن كان مباشرا أم غير مباشر ، و أن نحدد في الحالة الأولى إن كان نبريا أو معجميا أو نحويا فعلى سبيل المثال غالبا ما يعد الاسم النكرة (بعض) و مورفيم النفي و شكل الجملة الزمني أو صيغتها هذه أو تلك و البنى التفخيمية ذات النمط (أنا من) بمثابة المصادر التي تنبثق منها الاستدلالات المتنوعة .

3-4-2-2- تكون المضمن الذي يستوجب استخراجه أن يلجأ المتلقي ، فضلا عن كفاءته الألسنية اللغوية إلى كفاءتيه المنطقية و البلاغية التداولية التواصلية .

[1] - التداولية اليوم علم جديد في التواصل . آن روبول و جاك موشلار . ت سيف الدين دغفوش و محمد الشيباني . المنظمة العربية للترجمة . بيروت . ط 1 . 2003. ص 59-60 .

[2] - **عن أوريكيوني . المضمر** .

3 -4-2-3- **طبيعة محتوى المضمن** : على سبيل المثال الإلماح باعتباره مضمنا ميالا إلى الأذى ، و عليه نسلم بأن محتوى معين قد : قيل – بصيغة المضمر – بشكل يعمد فيه إلى الانتقاص من المحاور أو أي شخص ثالث ...

و الإلماح يغطي مجاله منطقة المضمنات برمتها فضلا عن جزء من منطقة الافتراضات ، مثاله : هل ارتكبت مجددا قصيدة شعرية ، يجيبه المخاطب : إلام تلمح أإلى أن أشعاري كلها رديئة ؟ . ففي المعنى المعجمي لارتكبت دلالات انتقاص لكن يمكن أن ينكرها المخاطب ، من هنا كانت تضمينا بجدراة .

القسم الثانـي

1- الرواية الجزائرية :

إنّ نشأة الراوية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطني العـــــربي، حيث لها جذور عربية وإسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمذاني و الحريري و الرسائل و الرحالات.

وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوا روائيا هو "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق" لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها "ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس " سنوات (1852م، 1878م، 1902م)(4)، تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسته مثلما تجسده نصوص: "غـــادة أم القرى" سنة 1947م لـ أحمد رضا حوحو، و " الطالب المنكوب "سنة 1951م لـ عبد المجيد الشـــافعي . و" الحريق" سنة 1957م لـ نور الدين بوجدرة، و "صوت الغرام" سنة 1967م لـ محمد منيع،إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لـ عبد الحميد بن هدوقة.»[1]

أما الرواية في الجلفة لم تتجاوز التسعينات من القرن الماضي و لعل عايدة خلدون هي أول من اقتحم هذا النوع من الأدب في روايتها (وحده يعلم) المطبوعة في القاهرة ، ثم خليل حشلاف في (أقصى الأشياء) و (عاصفة الجن) ثم تتابع الإنتاج فجاء عبد القادر برغوث برائعته (جبال الحناء) ، و عبد الوهاب عيساوي في(سنما جاكوب) وقبله اسماعيل يبرير في (ملائكة لافران) و (باردة كأنثى) و في عام 2013 نالت روايته (وصية المعتوه) موضوع الدراسة جائزة الطيب صالح العالمية المرتبة الأولى ...

[1] - شادية بن يحيى . مقال : الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع .

1- التعريف بالكاتب :

إسماعيل يبـرير1979 بالجلفة . لسانس آداب ، ماستر صحافة .

صدر له : _ **ملائكة لافران**، رواية، الطبعة الأولى 2008، الطبعة الثانية 2010، موفم للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية). _

طقوس أولى، شعر، منشورات أسامة، الطبعة الأولى 2008

_ **التمرين، أو ما يفعـــــله الشاعر عادة**، شعر، منشورات أسامة، الطبعة الأولى 2008.

_ **الراوي في الحكـــاية، مسرحية**، دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة2011..

_ **باردة كأنثـــى، رواية**، منشورات الاختلاف الجزائر، ضفاف بيروت، الطبعة الأولى 2013.

_ **وصية المعتـــــوه...كتاب الموتى ضد الأحياء**، منشورات ميم، الجزائر، 2013.

_ **مخالب الجهات**، ديوان شعر، منشورات ميم، الجزائر، 2014.

الجوائز :

_ جائزة وزارة المجاهدين للقصة القصيرة، 2006.

_ جائزة الملتقى الدولي للرواية عبد الحميد بن هدوقة في القصة القصيرة 2007.

_ جـــــائزة أحسن نص شعري، الملتقى الوطني للإبداع الأدبي والفني، الجلفة، 2008.

_ جائـزة رئيس الجمهورية إبداعات الشباب في الرواية، 2008. _ جائزة مؤسسة فنون وثقافة للقصة القصيرة 2009. - جائزة رئيس الجمهورية لإبداعات الشباب في الشعر، 2011.

_ جـــائزة الشارقة للإبداع العربي في المسرح. الشارقة. 2012. **جائزة الطيب صالح العالمية فـــي الرواية. الخرطوم 2013.**

2- التعريف بالرواية :

وصية المعتوه ؛ رواية جزائرية معاصرة تنتمي إلى الأدب الواقعي ، عالج فيها صاحبها ظاهرة الجنون المتفشية في مدينة الجلفة من خلال استبطان الحـــالة النفسيـــة للشخـصيـــة الرئيسية إدريس ، مبرزا التأثير القوي الفادح للواقع المعيش في تشكـــل نفسية إدريس ، و حتى العقلية السائدة لسكان الحي أشبه بعقلية شعب مستعمر محدود الأفق يخشى من التطلع حتى للحياة السائدة خارج الحي فهو شعب محاصر بين ثلاث مقابر مختلفة يتربع السجن وسطها ، و زاده الوادي محنة إضافية بنتانته و خطورته عند هيجانه .

وصية المعتوه أشبه بحكايا السير الذاتية لكنها تسلط الضوء على الجوانب العميقة المعتمة في حياة المعتوه و تفسر التصرفات الشاذة في عزلته و توحده ، كما تكشف عن غور الليبدو و ما قد يفعله الكبت في الشباب جراء العشق الدفين حينما يفتك بقلب ضعيف ؛ كل الظـروف تمنعه و تقصيه في سخرية مقيتة و لا مبالاة قاتلة ، ليمثل على ركح الخيال دور الفاعـل القوي القادر على إشفاء غيضه و الانتقام لكرامته ، ثم يكمل مسرحيته في هلوسة ترسم له نتائج فعلته و ما قد يلاقيه ، ليتعذب أضعاف ما انتقم ؛ ناقما على نفسه لأنها الأقرب إليه فيراها مشوهة مبتذلة مذلولة مقهورة مكسورة كمرآته الصدئة المتشظية التي ترعبه فيهـا صورته .

مرآته ... صورته ، نفسه ، هي حيه ، هي مدينته ، هي بلده ، هي أمته يختصرها الروائي في تشكيل بارع و نقد للذات لاذع و دعوة مبطنة للمراجعة و تغييـــر زاوية الرؤية .

3- ملخص الرواية :

الرواية بها صوتين (راويين) الأول شقيق المعتوه الذي يروي في بداية الرواية مراسم تشييع جنازة جده الذي كان حارسا على مقبرة النصارى المتواجدة مع مقبرتين أخريين في حي ديار الشمس المرتبط بالحي الأكبر منه حي صون ميزو أو مئة دار ، و يروي تفاصيل العزاء مركزا على بعض الدقائق من مثل سنه بالضبط ، و نقده المستمر لما هو مألوف صدوره من أهل الحي و سخريته من التنازع حول وصية جده و كيف ضيعوها ثم بعض التفاصيل حول بيت جده المجاور لبيتهم ، و تفاصيل أخرى حول بكائه على جده و ردات الفعل المعهودة من الناس الحاضرين ، ثم دخوله إلى غرفة أخيه المعتوه الغائب منذ مدة لا يعرف عن أي خبر .. و تعجبه من الرسومات على الحائط لشخصين و امرأة و خنجر و دم لم يفهم معناها ، إلا أنه عثر على كومة أوراق كتب المعتوه وصيته فيها ..

و تحت عنوان كبير بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي ؛ يحرر الكاتب وصية المعتوه في ثمان عناوين فرعية يبدؤها بالتساؤل التالي : لماذا نقتل ؟ أولا يعرفنا على رفيقه السري الرائي الذي لا يعرف بوجوده أحد غيره هو حيث يتولى الرائي إكمال ما نقص من حكي المعتوه الذي يصرح بحقيقة اسمه و هو إدريس و لاحقا يبين سبب تسميته بإدريس . ثم يعرفنا على حيه و على وادي ملاح و قصة جده مع واد ملاح ، لكن يرجع و يدخل في هلوسة يرى فيها رأى مزعجة متكررة يصفها بالمشهد السادي فهو يتخيل أنه قد قتل صديقه و اسمه السعدي يتخيله نيوتن لشدة شبه السعدي بالجنس الأوربي فهو ذو شعر أصفر و لون أبيض و عين ورقاء ، و قصة نيوتن ألقاه في روعه معلمهم الذي يسخر من العرب و يشيد بأعمال الأوربيين الذين استطاعوا أن يكتشفوا هذا القانون الخطير قانون الجاذبية .. ثم يرجع و يحكي عن طفولته و عن السعدي و عن فطيمة رفيقتهما الدائمة و يبدو أن فطيمة تشكل عقدة كبيرة في الرواية برمتها، فبعد (عنوان الكباش النموذجية)و حكيه عن يوميات حيه و قصة كبشهم و زواج فطيمة المؤلم ؛ يخصص لها عنوانا(فطيمة التي تخصي السباع) ؛ فبعد أن يشرح مظاهر فشله يحاول التقريب بينه بين فطيمة لكن تعجبه فيها قوتها في جمال أنوثتها لكن عقبة السعدي كؤود فهو يصفه بأنه تحول إلى

مشروع أذية صارخة .. و يشرح خيبته في أبيه و أمه يحسده السعدي عليهما ، فلا أحد يرضى بواقعه .. ثم يرجع إلى فطيمة و كيف كان تحولها جارحا ، و كيف خابت رجولة زوجها بطاطا معها و كيف هربت من عنده و مجيئها عنده في تلك الليلة ، شارحا شغفه بها و أحلامه التي بددها الفجر و ساعد في ضياعها ضعفه .. كان معجبا بقوتها و كيف استطاعت أن تأخذ بحقها من الكل من أبيها من الحي كله من خصومهم ؛ لقد علمها السعدي كيف تضرب الصبيان بين الرجلين .. إنه ينتقل بين الصبا و الحاضر مع ذكر بعض أهم الأحداث فيها و لعل تهجم السعدي عليها كان بمثابة الضربة القاضية بالنسبة له .

و تحت عنوان شجرة النبق المبارك شرح و فصل في جانب من حياته الصبيانية مع السعدي و صعلكته معه في أطراف المدينة .. ويحكي عن هوسه بالشجر و اعتقاده الكرامات فيه من شجر النبق و ثمره و العنب و غيره و كيف كان يدخن مع صديقيه السعدي و فطيمة .. مع التعريج بين الفينة و الأخرى على ذكر المالك الحزين والد السعدي.

و عقدة الرواية تتلخص في هذا العنوان في جبانة اليهود ؛ ففيه يصف حادثة قتله لصديقه السعدي و التجائه إلى عمته كلثوم حيث قضى شهرا كاملا يتحسس هل من أخبار عن جريمته سواء من عمته كلتوم أو من الجرائد أو من حديث الناس عن السعدي المقتول لكن لاشيء من هذا حدث .. لكنه في الفصل الأخر يشرح سبب قتله للسعدي إنه ابتذل حبيبته فطيمة متبجحا حاكيا له تفاصيل الاعتداء .. و في آخر فصل تبين أن المقتول هو و أن السعدي هو القاتل .. لقد تزوج السعدي فطيمة و رغم ذلك لم يرحمه واعتدى عليه بالقتل .. بعد أن مر بمرحلة التطهير و استسلم لكل شيء و سلم بالأمر في كل شيء .. انتهت وصية المعتوه و بقي أخوه يتعذب بها بعد أن عرف كل تلك الحقائق عن أخيه الغائب في آخر فصل لا تسخر أبدا من وصية معتوه .. حيث التساؤل يقتله هل يكتب المعتوه مثل هذا الكلام؟

القسم الثالث

1- وصية المعتوه ، كتاب الموتى ضد الأحياء : التحليل

1-1- جدوى دراسة المضمرات في الرواية الأدبية :

قد يسأل السائل ما جدوى دراسة المضمرات في الرواية إذ هي نص قد يوجد فيها الحوار و قد لا يوجد ، و معلوم أن المضمر لا يوجد إلا في الاستلزام الحواري ، و بالتالي محاولة البحث عن حوار في رواية لاستخراج المضمرات منه ضرب من الخبط في غير جدوى ، إذ الحوار ساعتها يكون من طرف واحد هو المرسل فقط أما المرسل إليه فهو نفسه المرسل لأن المؤلف هو المرسل و هو المرسل إليه فالحوار تمثيل لا يعكس الحقيقة ... فلا جدوى إذا من دراسة المضمر في الرواية .

لكن إذا كان المؤلف هو المرسل فإن القارئ هو المرسل إليه و القارئ هنا متعدد ، ليس على مستوى واحد ، ثم إن المؤلف صاحب رسالة لا يمكن أن يصرح بها كلها في عمل إبداعي إلا إذا لجأ إلى الإضمار و تكثيف المعنى و تنويع القالب الذي يرسل فيه رسالته و على القارئ أن يفهم فحوى هذه الرسالة المقصودة ، **على أن الإضمار هنا يتجاوز قصد المؤلف في كثير من الأحايين فينتج عن النسيج اللغوي رسائل مضمرة قد لا تخطر في بال المؤلف** تتكفل التأويلية جانبا من الكشف عن لثامه ، و للمفسر اليد الطولى في شرحه و إقناع المخاطب بفحواه ...

يقول جميل حمداوي : « ... وبناء على ما سبق، تتعامل التداولية مع النص الأدبي باعتباره خطابا وملفوظا لغويا ذا كلية عضوية سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث نربط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الإنجازي، وندرس مكوناته التلفظية السياقية، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية، ونربطه أيضا **بالحوارية**، و **المقصدية، والإحالة، والتفاعل، والتخاطب التداولي**... »[1]

و يقول أيضا : « وتذهب النظرية التخاطبية إلى أن النص الأدبي تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة، وهي: المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتبا أو مؤلفا أو ساردا أو شخصية، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصا مخاطبا، كأن يكون قارئا أو متلقيا أو

[1] - جميل حمداوي . المقاربة النقدية في الأدب و النقد (مقال) 6 كانون الثاني (يناير) 2012

شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة. وهناك العنصر الثالث الذي يتمثل في الخطاب التداولي أو الرسالة المرسلة. وبهذا، تكون هذه النظرية قد مهدت لميلاد القارىء أو المتلقي أو المتقبل. وتكون، من جهة أخرى، قد أعطت نقطة انطلاق للنظريات التي تعنى بالقارىء المستقبل، كجمالية التلقي ليوس وآيزر، وغيرها من النظريات.

وهكذا، فالنظرية التخاطبية تستوجب وجود ثلاثة أطراف: المرسل (الباث-المتكلم-المتلفظ - المتحدث-المبدع)، والرسالة(النص-الأدب-الخطاب- التلفظ...)، والمتلقي(القارىء-المرسل إليه-المستقبل-المتلفظ إليه). ومن ثم فالباث أو المرسل هو الذي يسنن رسالة ما سواء أكانت ذهنية أم وجدانية ليرسلها إلى المتلقي، ليقوم بدوره بتفكيكها في ضوء سنن مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه. وفي هذا النطاق، يقول الباحث التونسي حسين الواد:" لقد اعتنت نظرية التخاطب، على وجه الخصوص، بمرور البلاغ من الباث إلى المتقبل عبر قنوات الاتصال، ورأت أن الباث يسجل بلاغه في الكلام حسب قواعد في التسجيل تواضع عليها الناس، وأن المتقبل يعمد إلى فك رموز الكلام ليحصل على البلاغ منها.إلا أن إيصال البلاغ، في الغالب، مغامرة لا تتم دائما بسلام. فمهما بذل الباث من جهد في تفادي عناصر التضليل والتحريف وسوء الفهم، فإن بلاغه لابد من أن يتأثر بها. ولقد كان لهذه النظرية أثر بارز في درس الآثار الأدبية، إذ عمدت طائفة من الباحثين إلى جعل المؤلف باثا و القارىء متقبلا والأثر يحمل بلاغا. إلا أنهم رأوا التخاطب في الأدب يختلف كثيرا عن التخاطب العادي، فمنتهى أمل الباث في التخاطب العادي أن يصل بلاغه سالما من العثرات إلى المتقبل. والذي يساعده على ذلك ارتباط البلاغ عادة بالمرجع أو السياق يحضر القارىء أثناء القراءة، فيتجنب به الوقوع في الخطإ. إن الخطاب العادي يقوم في أساسه على الوظيفة المرجعية.أما التخاطب الجمالي في الآثار الأدبية فلا وظيفة مرجعية له. و بالتالي، فإن العثرات فيه كثيرة والعقبات كأداء. ومن هنا، حلت فيه **الوظيفة الأدبية** محل الوظيفة المرجعية في التخاطب العادي. لذلك، كان الغموض في الأثر الأدبي، وكان التفاف الكلام فيه على نفسه أشد ما يكون.»[1]

[1] - المقال السابق .

وإذا كانت الملفوظات التخاطبية العادية لا تثير مشاكل على مستوى التداول والتواصل والتخاطب، فإن النص الأدبي باعتباره ظاهرة تخاطبية بين المتكلم والمخاطب يثير عدة صعوبات ؛ **بسبب الغموض، والانزياح، والتضمين، والتلميح، والترميز، والأسطرة**. لذا، فعلى المتلقي أن يبذل مجهودا لفك الخطاب الأدبي عن طريق **عملية التأويل**، وفك الرموز. وفي هذا النطاق، يقول حسين الواد مرة أخرى:« والمهم في نظرية التخاطب أنها أسلمت الآخذين بها إلى الإقرار بالغموض في الآثار الأدبية ميزة من طبيعتها. ولأن التخاطب في الأدب غامض، ولأن الغموض ظاهرة ملازمة له، توقع الباث (أي الأديب) من القارئ أن يقوم بالتأويل أثناء القراءة، وانتظر منه أن يثري البلاغ الأدبي بإضافات شخصية من عنده يسلطها عليه. ولأن التخاطب الأدبي غامض في أساسه، عمد القارئ، كلما واجه نصا أدبيا، إلى **امتحانه**، فاختبر قدراته على تحمل المعاني الإضافية **بموجب ما ركب فيه** من مواطن غامضة تتحمل التأويل. ومن هنا، كان الأثر الأدبي، في نظرية التخاطب، أثرا مفتوحا يستدعي التأويلات العديدة، ويتقبلها، فيزداد بها ثراء على ثرائه... »

يقول محمد مفتاح : «.. كل النصوص هي جزء من الحوار الصريح أو الضمني ، و هي ليست إلا أشكالا من التعاون، و من ثمة تجب دراستها في إطار نظرية العمل الجماعي »[1].

ويعني كل هذا أن الناقد التداولي يمكن أن يتعامل مع النص الأدبي أو الخطاب الإبداعي باعتباره بنية تخاطبية وتبادلية بين طرفين، وذلك ضمن سياق عام، أو سياق موقفي، أو سياق نصي، مع تحديد نوع التخاطب والتبادل التداولي.[2]

1-2- العتبـــة :

العنوان يعكس كثيرا مما تضمنه النص ، و لنا أن نتبأ بفحوى النص من عنوانه ، لكن في (وصية المعتوه) يصدمك التناقض إن في العنوان الأصلي أو العنوان الفرعي (كتاب الموتى ضد الأحياء) . فمعلوم أن المعتوه لا يمكن أن يكتب وصية بل لا يمكن له أن يكتب

[1] - د محمد مفتاح . دينامية النص . المركز الثقافي . المغرب . ط 3 . 2006 . ص 30 .
[2] - جميل حمداوي المقال السابق .

جملة مفيدة و حتى إن كتبها لا يمكن له أن يكتب جملا مترابطة تؤدي معنى مفهوما ، «المجانين لا يكتبون ما كتبه هو ، و العقلاء يحتاجون كثيرا من الحكمة لفهمه»[1]

و كذا عبارة (كتاب الموتى ضد الأحياء) فحمولتها الدلالية أن الموتى اجتمعوا على كتابة كتاب ضد الأحياء ، لكن ماذا عنى به كتفسيرا للعنوان الأصلي ؟

بادئ ذي بدء لكي ننطلق في تحليل جملة ما و شرح حمولتها الدلالية ننوه بالخطة التي وضعتها كاترين كيربرات أوريكيوني في مقدمة كتابها ، لتحليل الجمل حيث سلكت في تحليل المحتوى الكشف عن :

ا- الركيزة اللغوية للمحتوى

ب - وضعه سواء كان افتراضا أو تضمينا

جـ- و أخيرا تكونه ، أي الآليات التي ترسي أسس استخراجه [2] ، و تجملها أوريكيوني في أربع كفاءات للمتكلمين :

1- **الكفاءة اللسانية** : تعني هذه الكفاءة بالعناصر الدالة النصية و السياقية الحالية النصية ؛ حيث تطعم فيها المحتويات البينة بالمحتويات المضمرة ، بحيث يستلزم التعرف على الثانية أن يصار إلى تحديد الأولى ...

لا تكون هذه الكفاءة متجانسة حتى لدى الجماعة اللسانية الواحدة فمثلا اللغة العربية ليست سوى نموذج مجرد يدمج عددا لا يحصى و لا يعد من البدائل اللغوية المحلية و اللغوية الاجتماعية و اللغوية المحكية ...

2- **الكفاءة الموسوعية** : تمثل الكفاءة الموسوعية خزانا رحبا يضم معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السياق ، أو باعتبارها مجموعة معارف و معتقدات و أعراف .. و هي إما عامة أو خاصة ، أو متعلقة بالعالم حيث تتدخل في عملية الترميز بعض الصور التي يختلقها المتكلم عن نفسه و عن المحاور و ما نتج عنها و منها ... أو كفاءة موسوعية حيادية تقويمية و هي كفاءة المتكلم الأيديولوجية ... أما الأخيرة فهي ما يجمع عليه المتكلمون المتفاعلون الذين تتقاطع كفاءاتهم الموسوعية بدرجات متفاوتة من قوتها ... و

[1] - اسماعيل يبرير . وصية المعتوه .. . دارميم للنشر . الجزائر . ط 1 . 2013 . ص 133.

[2] - أوريكيوني . المضمر . ص 21.

هذه الكفاءة تتنامى و تتغير مع الوضع حيث يكيف المتخاطبون أنفسهم و كفاءاتهم في كل مرة مع ما تفعله الكفاءة الأيديولوجية من الحد من الانصياع وراءها و توجيه دورة الخطاب في فلك معين ...

3ـ **الكفاءة المنطقية** : يقول لاكوف : إن شئنا أم أبينا ، يجري السواد الأعظم من التدليلات المنطقية المنجزة حول العالم في إطار اللغة الطبيعية . و بموازات ذلك ، تستخدم غالبية استعمالات الكلام الطبيعي تدليلا منطقيا ما . فضلا عن أنها تسمح بإنجاز عدد معين من العمليات المتنوعة التي أوزعها بشكل اعتباطي نوعا ما على ثلاث فئات هي :

ا ـ العمليات التي تحاكي عمليات المنطق الصوري ...

ب ـ عمليات المنطق الطبيعي ...

ج ـ استدلالات تطبيقية عملية ...

4- **الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية :**

« تتعدد الصفات (بلاغية أم تداولية تواصلية) أم (بلاغية تداولية تواصلية) أم (تداولية تواصلية بلاغية) و السؤال واحد : ما هي الصفة الأنسب التي يجب أن نطلقها على هذه الكفاءة التي **تشكل مجموعة المعارف التي يملكها المتكلم المتفاعل بشأن طريقة عمل هذه المبادئ** ... و نسميها تبعا للظروف قواعد أو (مبادئ تحادثية) بحسب غريس و (قوانين الخطاب) بحسب ديكرو و (مسلمات التحادث) بحسب غوردون و لاكوف و أخيرا (مسلمات التواصل السوي) بحسب ريفزين أما في كتابنا الذي يحمل عنوان فعل القول فننسب إليها بكل بساطة صفة (البلاغية) ... [1] و قد سبق في الفصل الأول التطرق إليها بالتفصيل ...

و عليه : جملة **(وصية المعتوه)** تقتضي :

أن هناك وصية لمعتوه معروف فهو معرف بال العهدية ، و الوصية ما يوصى به و المعتوه ناقص العقل من غير جنون ، ليس في وضع عقلي سليم ، غير مؤهل عقليا كما جاء في المعجم [2] . و في اللسان : المعتوه المدهوش من غير مس جنون [3] هذا هو المحتوى

[1] ـ المرجع السابق من ص 283إلى 290.

[2] ـ www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/معتوه

[3] ـ اللسان . مادة عته .

المقرر و عموما لا يستقيم... إلا إن طلبنا له معنا مضمرا فنقول : هذه وصية الشخص الذي كان يظنه الناس معتوها

الركيزة اللغوية : عدم التطابق في الجملة الأولى

وضعه : هو مضمن

تكونه : ـ **أولا**: السياق العام للرواية و هو سياق نصي نستند إليه في تفسير المعنى المراد: « ترك سليم وصية ، لهذا سأفعل الأمر ذاته ، ينبغي أن تكون لي وصية ، قبل أن أفكر في وصية سليم بن يمينة ، علي أن أفكر في وصيتي ، لمن أتركها ؟ أكتبها لفطيمة الوحيدة التي بقيت منا نحن الثلاثة ، فتكون خير حافظ لذكراي ، أم أكتبها لوالدي و شقيقي فيتعذبون بذكرى ابنهما المعتوه ؟ هجم علي هاجس الوصية دون سابق إنذار ، فجأة وجدتني محكوما بوصية بلا وجهة ، فكرت أن أجعلها وصية مفتوحة للجميع ، يمكن أن يقرأها الذين أخبوني و لم يكرهوني بعد كأمي و أبي و شقيقي و فطيمة ، و الذين أحبوني ثم كرهوني .. كخالتي التاقية و عمتي كلثوم و ابنتها صليحة ، و الذين كرهوني منذ البداية كفريد شقيق فطيمة ، و والده الحاج بورقيبة ، و صالح بطاطا و يمكن أن يقرأها الذي أحبني ، و توقف عن حبي دون أن يكرهني .. لا يمكن أبدا أن يقرأها السعدي . يقول الرائي : جدك لم يكتب لك وصية و لا لغيرك ، أخذك صغيرا إلى المقبرة حيث حفر له قبرا ، و طلب منك أن تتذكره إذا نسيه والدك ، و لم تعد أنت إلى القبر و لا عدت تذكر أين هو ، فالموتى لا يفتأون يتزايدون ، و مقبرة المسلمين هي الوحيدة التي تضيق بموتاها ، أنت كنت من أنصار مقبرة اليهود أو النصارى ، لما فيهما من فسحة ، رغم ذلك إلا أن كتابة وصية تبدو أكثر من غريبة ، ربما لو أنك قررت أن تقول حكايتك لكان الأمر مفهوما ، أما الوصية فهي للكبار أو لمن يملك ثروة أو أبناء ، أنت بالكاد كان لديك ظل لهذا فأمر الوصية يرسم جنونك و يجعل الجميع يتأكدون أنك كنت معتوها ، اجعلها حكاية فتمر بهدوء . هكذا ستكون لي وصية ..»[1]

[1] ـ اسماعيل يبرير . وصية المعتوه . ص 97-98.

ثانيا: السياق العرفي المنتشر في بيئة مثل الجلفة و غيرها من أن بعض الدراويش أهل حكمة و أصحاب سر فلا غرو أن تحيل عبارة وصية المعتوه في ذهنية القوم إلى هذا النوع من الدراويش الحكماء « و لا تدعوني ... درويشا ... »[1]

ثالثا: التناص الحاصل في عبارة (وصية المعتوه) مع المثل المشهور (خذو الحكمة من أفواه المجانين) أو مع التراث في مع عنوان عقلاء المجانين لابن الجوزي مثلا ، أو مع بعض العناوين لكتاب مشهورين مثل (المجنون) لجبران خليل جبران أو حتى التناص مع المحتوى العام في جنون (هملت) لشيكسبير . ففي كل ما سبق هناك سبب لاعتزال شخص ما يحمل أفكارا و يخشى على نفسه و أفكاره من الاختلاط بالناس لذا فضل الانزواء عنهم متظاهرا بالجنون .

يقول الكاتب على لسان الراوي : « لقد كان إدريس عاشقا حقيقيا لحينا لكنه لم يملك أدوات المواصلة بين مقابره الثلاث و واديه ، على نحو ما لم يكن آليا ، و مرتبا و رتيبا و مستسلما **، لم يكن مثلهم أقرب إلى الموت منهم إلى الحياة ، لأجل هذا فقد حالته الطبيعية و حالته التي كان يأمل فيها و انخرط في حالة لا تفسير لها سوى الجنون** ، و لن أصدق أن الذي حصل لإدريس كان فقدان عقل ، المجانين لا يكتبون ما كتبه هو ، و العقلاء يحتاجون إلى كثير من الحكمة لفهمه »[2].

رابعا : الإستلهام من الأسطورة مثل أسطورة عبد الرحمن المجذوب و ما خلفه من ثنائيات و حكم . يقول عبد الرحمن رباحي : « و هكذا كادت سيرة عبدالرحمن المجذوب أن تكون أسطورة سائرة في كل بلاد المغرب . محتلة جانبا عظيما من الخيال الجماعي لشعوب المنطقة »[3] . و قد ورد في الرواية ذكر للقداسة و الولاية و الكرامات « بدأت أشعر أني رجل مقدس ، تمنيت أن أرى وجهي الآن في نشوتي هذه .. و إذعانا مني للقداسة التي لبستها أو لبستني ..»[4]

[1] - المرجع السابق.ص 18.
[2] - المرجع نفسه. ص 133.
[3] - عبدالرحمن رباحي . قال المجذوب . منشورات الجزائر . الجزائر . ط 3. 2011. ص 12 .
[4] - وصية المعتوه . 105.

إذا عرف هذا سهل علينا معرفة التفسير للعنوان الفرعي (كتاب الموتى ضد الأحياء) ، **فالمحتوى المقرر** أن هناك كتاب كتبه موتى معروفين فهم معرفين بال العهدية و قد تعني كل الموتى و تكون (ال) هنا للاستغراق. ضد أحياء معينين كذلك و قد تعني كل الأحياء ، لكن سياق الرواية اللغوي يحيل على الأول فهناك موتى مقصودين إن موت حقيقي أو موت معنوي .

أما المحتوى الثاني : **هناك صراع بين الموتى و الأحياء** ، تحيل عليه لفظة **ضد** . و وضعه هو **افتراض مسبق** ؛ استلزمه التركيب اللغوي للجملة كتاب الموتى ضد الأحياء .

أما المضمن : بما أن الموت هنا موت معنوي ، يحيل عليه السياق العام للرواية في إشارة واضحة لإدريس صاحب الوصية الذي كان **يعتبر** بمنظور القوم ميتا ليس حيا فهو لا يحيا مثل ما يحيا أهل حيه و لا مثل ما يحيا عموم الناس فقد استقال من دوره في الحياة مبكرا ، و جلس بالهامش ينظر للحياة و يحللها بغير العين التي ينظرون . و إذ خالف عرف القوم و ضرب بسننهم عرض الحائط فمن الطبيعي أن يحدث الصراع ، و بما أنه وحده و لا يجد من يفهمه فمن الطبيعي أن يأتي اليوم الذي يرحل فيه ، لذا كتب وصيته و **أغلب ظنه** أن يقرأها أخاه ليعرف الحقيقة المرة التي يحياها مجتمع يظن نفسه حيا بينما هو لا يعدو أن يكون شبيه الموتى في المقابر أو سجين مثله مثل من هو داخل السجن في ذلك الحي المعزول . « هذا كتابي ، و قد ضمنته ما رأيت و ما سترون ، أنا رجل من حي ديار الشمس ، أملك قبرا في الجبانة الخضراء ، يفترض فيه أنه لجدي ، لكنه عصي على الموت لهذا فسيكون لي ، أملك حكايات في مقبرتي النصارى و اليهود ، سأكتب الوصية دون توجيه أي أمر ، فقط حاولوا العثور عليها و تنفيذها ، أتمنى على الذي قرأ الوصية أولا أن يتحمل مشقة تنفيذها ، لا تتعجب كثيرا مما ورد فيها ، و لا تدعوني بعد هذا الكتاب معتوها أو درويشا أو مجذوبا ، ادعوني فقط باسمي و سأرضى ، ألم يكن لي اسم ؟ »[1]

إذا تيمة الموت تسيطر على النص كله ، بكل ما فيها و ما يسبقها و ما يليها ، فالموت الحقيقي و الموت المعنوي ، و الغياب في الحضور ، و الرحيل في البقاء ، و الضعف و

[1] - وصية المعتوه . ص18.

الاستسلام و الهوان ، و توقع الأسوء في كل لحظة ، و الأوهام السوداء تسيطر على الفكر ... صراع غير متكافئ البتة .

1-3 - المضمرات في (صاحب الوصية يموت أخيرا) :

عبارة العنوان : صاحب الوصية يموت أخيرا

الجو جو موت و مراسيم دفن و عزاء ، و خبر يغير حياة الراوي ليكتشف عالما جديدا و ينظر إلى الحياة من زاوية أخرى ، لكن لماذا يعنون ب(صاحب الوصية يموت أخيرا) إنه يفاجئ القارئ و يصدمه بعدما أن صدمه بعنوان الرواية ككل (وصية المعتوه) ، ماذا يقصد بالوصية ؟ هل هي الوصية المقصودة في عنوان الرواية أم وصية ثانية ؟ تلك تقنية معهودة في الكتابة الإبداعية يستشرف بها الروائي الأحداث ... لكن هنا نظنها استشرافا بينما هو إخبار على الحقيقة؛ فالميت جد الراوي و له وصية فعلا و إن لم تنفذ، و قد عمر حتى ظنوا ألا يموت « فقد عمر بعد أن حفر قبره عقدين من الزمن »[1].

أما المحتويات ، فالأول : أن صاحب الوصية عمر طويلا ، و هذا افتراض مسبق .

و الثاني : أن أهل الجد كانوا متذمرين من طول حياته ، و هذا تضمين يعضده :

الركيزة اللغوية : في تركيب الجملة إذ الخبر جملة في (يموت أخيرا) و المفعول المطلق (أخيرا) يدلان على الحدث المستطيل ؛ فتوقع الموت مع عدم وقوعه في كل مرة كأنه موت طويل ليتنفس المتوقع الصعداء (**أخيرا**) بعد ما يقع .

أما وضعه : فهو تضمين

و تكونه : أولا : السياق اللغوي للنص «.. ثم إنها تودع خدمته المضنية و طلباته المتعددة ...»[2]« .. نطق الشيخ الماحي موجها الكلام لأبي يا لخضر هاه ها وراه قبر بويك ؟ .. يا الطالب كان القبر هنا ... حفر إذن القبر و أغلقه كأن بداخله ميتا و أحضر أخي الذي كان طفلا و أبي الذي كان كهلا و عرفا مكان القبر ،و انتظر أن يموت في

[1] - وصية المعتوه . ص14.

[2] - نفسه . ص 12.

الأشهر الموالية ، لكن رغبته بدأت تخفت و أقبل على مقبرة النصارى بشغف أكبر من قبل و هكذا .. نسي هو أن يموت ، و نسي أبي أمر القبر ، و نسي الجميع أخي »[1]

ثانيا : سنة الحياة و توقع الموت للشخص الكبير الذي طال بقاؤه و كثرت طلباته و ظهر عجزه ...

من هذا الفصل نختار عبارات تنم عما بعدها و تغمز للسر وراء قصد الكاتب ، يقول : «... كنت أستعيد غربتي في حيي ، لقد انفصلت عنه و أنا في الرابعة عشر ، فشلت في الدراسة فشلا متكررا و **مقصودا** ، لم يكن بوسع أبي معه أن يضمن لي أكثر من توجيه إلى حرفة تعيلني يوما ما ، **لم يكن الفشل أمرا خطيرا في حينا** ، أغلب الرفاق **تتوقف أحلامهم** الدراسية **باكرا** ، مع أننا نحلم مثل الجميع أن نصبح أطباء و طيارين و مهندسين .. كل الذين حلموا معي بذلك توقفوا عن الحلم سريعا و كرسوا حياتهم للظهور ككبار ، كان **المخطط** يفترض العمل و السعي للزواج في أقرب الفرص ..»[2]

المحتوى الأول لهذه العبارات : **أن هناك مخططا ما من جهة ما تكرس به الفشل لساكنة الحي لتبقيهم في مستو معيشي معين فلا يطمحون لأزيد من ذلك ...** و يدخل ضمن نمط المعلومة التي يقدمها بغية تشكيل طبقة الافتراضات المستعملة للتسمية أي إن استعمال أي مصطلح يستلزم ملاءمته المرجعية و هو هنا عبارة المخطط

1- الركيزة اللغوية : العطف في لفظة مقصودا على متكررا فالقصد هنا عرف من التكرر و من السياق التالي : لم يكن بوسع أبي ...

و كذا لفظة المخطط التي تنم على أن هذا الأمر متعارف عليه مسلم به

2- وضعه : هو افتراض مسبق

3- تكونه : أولا السياق اللغوي للعبارة و هذا واضح «... لم يكن بوسع أبي معه أن يضمن لي أكثر من توجيه إلى حرفة تعيلني يوما ما ، **لم يكن الفشل أمرا خطيرا في حينا** ، أغلب الرفاق **تتوقف أحلامهم** الدراسية **باكرا ...»**

ثانيا : السياق العام للرواية ؛ فهو لا يخرج عن هذا الفلك ، بل يكاد أن يكون هو أسها .

[1] - وصية المعتوه. ص 13-14.

[2] - نفسه . ص 8.

المحتوى الثاني : **أن هناك في الحي من يرفض هذا الواقع و يأبى الانصياع وراءه حتى و لو كلفه ذلك عقله ...** و هو يدخل ضمن نمط ترسيخ المضمن غير المباشر

1- الركيزة اللغوية : **لم يكن الفشل أمرا خطيرا في حينا** ... المفهوم أن الفشل أمر خطير في حياة الإنسان خصوصا إذا ماتت معه كل إرادة لكسره و استسلم بكليته له على الأقل هذا مفهوم الراوي الذي تكرسه فقرات الرواية تاليا حيث بطل الرواية هو المثال الحي على هذا الرفض ...

لفظة أغلب تدل على العموم و لا تدل على الكل و المعنى هناك من لا يتوقف حلمه

2- وضعه : تضمين

3- تكونه : أولا : الحالة الاجتماعية التي تنم عن عدم الرضا بهذا الواقع أو على الأقل الإحساس الجارف بالنقص و الظلم و تدني مستوى الحياة في الحي :« **لم يكن الفشل أمرا خطيرا في حينا ... إلى ... و كرسوا حياتهم للظهور ككبار ».** و كلمة كان المخطط ؛ يفترض أن هناك جهات تخطط و بما أن الأسلوب هنا يدل على عدم الرضا فالمفترض أن تكون هناك مقاومة من نوع ما لهذا المخطط و هذا بالضبط ما تكرسه الرواية في شخص المعتوه ... و إن كانت مقاومته هروب و ليست مواجهة .

ثانيا :الجانب السيكولوجي الذي يثبت أن النفس دائما تتطلع لما هو أفضل و أن الضغط الدائم المستمر يولد الانفجار مما ينتج عنه إما الخروج و الهرب من هذا الوسط أو الانهيار النفسي و الهروب من واقع الحياة و العيش في الوهم و الخيال و الهلوسة أحيانا كثيرة ...

إن الحياة داخل الحي تفرض تركيبة نفسية معينة : انهزامية ، متخلفة ، منقادة للعرف السائد حتى و إن كانت أعرافا لا أصل لها ... و هذا لاعتبارات معينة فالحي محصور بين ثلاث مقابر و يتوسطه سجن كما يحاصره الواد الآسن من جهة فهذه العوامل الجغرافية من شأنها أن تؤثر سلبا على الحياة الاجتماعية و النفسية داخل الحي ... فمقبرة النصارى و اليهود و السجن تبقي على ذاكرة

الاستعمار في أذهان ساكنة الحي و ما يتبعها من استخذاء ، و الوادي الآسن يرسخ الرسائل السلبية في النفسية لاجتماعية ...

1-4-المضمرات في : بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي :

في العنوان : أي أحداث هذه الرواية تدور بين المقابر الثلاث : الجبانة الخضراء و هي مقبرة المسلمين التي مازالت تتمدد و تتسع ... و مقبرة النصارى التي رحل السكان الذين كانوا يدفنون فيها ... و مقبرة اليهود كذلك ... و بمحاذاة الوادي الذي لا تؤمن غوائله مع ريحه المنتنة أغلب الوقت ...

فالمحتوى المتضمن : **معاناة و تخلف و ألم ...**

الركيزة اللغوية : أولا : الحذف بين عبارة (الثلاث) و (وبمحاذاة ...) فهذا الحذف هو سكوت المتألم ... هنا يعيش المعتوه الذي فقد كل شيء ...هنا بدأت حكاية الوجع ، هنا يسكن الصراخ الصامت ... و(ال) التعريف في الوادي دلالة صارخة على الأثر السيئ المتجذر في نفوس ساكنة الحي من نتنه و خطورته .

و الدليل على ما سبق هو محتوى النص و سياقاته المختلفة التي تكرس شرح المأساة ... لذا نعتبره أسلوب تلميح يحمل من السخرية و السخط و النقد اللاذع للواقع المؤلم ...

تكونه : أسلوب التلميح اعتمادا على الكفاءة التداولية البلاغية التواصلية حيث أنه يراعي قوانين التخاطب المتعارف عليها فهو يراعي قاعدة الكم فالمساهمة هنا كانت مقتضبة كافية في الدلالة على المحتوى المذكور ... طبعا و لأنه خطاب أدبي يتجنب فيه المباشرة و الوضوح الكافي فعبارة بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي و ما سبقه في فصل صاحب الوصية يموت كافية في إعطاء الانطباع حول ما يريده بها . ثم إن الكفاءة الموسوعية خصوصا ما تعلق ذلك من جانب علم النفس الاجتماعي و تأثير المكان الجغرافي في تشكل الطباع الخلقية لأهلها مع الرمزية التاريخية للمنطقة و التقليد المتوارث عندهم ...

1-5- لماذا نقتل ؟

هذا العنوان الفرعي الأول من فصل بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي حيث حوى بداية وصية المعتوه التي وجدها الراوي و هي بداية الصوت الثاني في الرواية و هي المعنية بالرواية أصلا ... ليبتدئها بهذا السؤال الصادم : لماذا نقتل ؟ حيث تنجر عنه عدة

تساؤلات . من يقتل من ؟ و هل هناك جريمة قتل ؟ بل هل هناك قتل كثير لأن الفعل المضارع يدل على الاستمرار و التكرار ، المتصفح لفقرات هذا العنوان يستنتج أن هناك حوارا داخليا و صورا مكررة في سرعة و تتالي تكاد تذهب بنظام السرد في الرواية الرائي و المرئي أنا أسمعه ..فسلاحي معه السمع ، و هو يراني .. فسلاحه معي البصر ، هو الرائي و أنا الرأيا و قبلها يقول : كان الرائي الوحيد الذي عاش معي و عاش بعدي ، فلم يره أحد غيري ..[1]

و يتحدث عن مشهد سادي جدا منظر التفاحة تسقط .. و منظره هو و هو يهوي على الرجل بخنجره .. فيحاول محو الصورة المكرورة بالاستيقاظ لكن دورة العذاب تلك تجذبه بقوة .. يبدو أن درس الجاذبية في المدرسة و طريقة طرحه من طرف المعلم بعثت في نفسه اشمئزازا و أسقط اسم نيوتن على صديقه السعدي الذي كان يشكل عقبة كؤودا بينه و بين الأشياء التي يحبها ، إن السعدي هو الهوس و العذاب الذي يصلاه إدريس صاحب الوصية .. لكن ما هي الحمولات الدلالية لهذه العبارة لماذا نقتل ؟

سنحاول الكشف عن بعضها

أولها : **أن هناك قاتلا و مقتولا** . و هذا محتوى مقرر

ثانيا : **أن هناك تعارف على القتل** مم يرجع بالذاكرة للعشرية السوداء و كيف كثر فيها الهرج .. يقتل المرء فيها لا يدري لم قتل ..

الركيزة اللغوية : الفعل المضارع نقتل فهو دال الجمع ، دال على التكرار على القصدية في فعل القتل ..

وضعه : افتراض مسبق

تكونه : السياق العام الذي كتبت فيه الرواية والروائي كسندات سيرذاتية أو (خطابات منقولة) بتعبير جيرار جينيت أملتها ضرورات انغراس المبدع في تربته الثقافية ومهد تكوينه ووعيه الشديد الخصوصية بأن يكون لنصه الهوية التي يريدها بأبعادها الثقافية والرمزية التي تسكن لاوعي المبدع ولا يمكن لأي مبدع مهما كان التنصل منها للخروج مما يسميه الناقد المغربي عثمان الميلود (التنافر بين الروائي و الأتوبيوغرافي) مما

[1] - وصية المعتوه ص 19 و 22.

يجعل هذا اللون من الكتابة الروائية الشديد الارتباط بالمكان أقرب على ما يرى عبد الله إبراهيم (بأدب الاعتراف بالهوية) فلا يمكن انتزاع الكاتب من الحاضنة الاجتماعية والثقافية التي يشتبك بها لأن أدبه يقوم بمهمة تمثيلها وبيان موقعه فيها فلا يطرح موضوع الهوية في السرد والاعتراف بها إلا على خلفية مركبة من الأسئلة الشخصية والجماعية وتبادل المواقع فيما بينهما فالكاتب منبثق من سياق ثقافي وتجد الإشكالات المثارة كافة في مجتمعه درجة من الحضور في مدونته السردية .

ثالثا : **أنه تفسير لإرادة القتل في نفسية الراوي** ؛ كأنه يبرر القتل على كره منه له فهو يتمنى تجنبه و يأبى عليه الواقع المر إلا منظر الدم و الشعور المقيت بالذنب المستمر ..

الركيزة اللغوية :

طرح التساؤل كعنوان لفقرة دليل على أن الجواب داخلها ..

وضعه : تضمين

تكونه : - السياق العام للرواية ..

- العرف العام المتداول من أن الرجل قد يقتل من أجل أنثى أحبها .. و الأنثى هنا هي فطيمة ، لكن لم يشر في هذا الفصل إلى شيء من هذا إلا ما كان من قوله «.. لكنه ألقى نظرة مليئة بالرموز نحو بيت الحاج بورقيبة ، نحو بيت فطيمة ..»!![1] و يقول : «.. ليت السعدي لم يعد ، بل ليته مات على يد معتوه آخر و حفظ مكانته في قلبي **ليته ترك لي فرصة أن أعيد تجديد حياتي** ، و ليتني قتلت شخصا آخر غيره .. »![2] أو «.. فطيمة ظلت تحبه حتى و هو يوزع أذيته .. »[3]بل كأنه يقدم له بحوار مطول مع رائيه حول صباه و دراسته ، مع سخريته المستمرة في كل ما يحكيه و يبقى السياق العام للرواية هو من يثير بعنف إلى هذه القضية ..
- السياق الاجتماعي العام في الرواية و الإحساس المقيت بالدونية و الظلم و الاحتقار المسلط من الكل و خاصة من أقرب الناس الممثل في السعدي ..

[1] - وصية المعتوه . 32 .
[2] - نفسه. 26.
[3] - نفسه . 26 .

1-6- و لكني لم أحب فطيمة يوما :

من العنوان الفرعي : فطيمة التي تخصي السباع ؛ اخترنا هذه الجملة (.. و لكني لم أحب فطيمة يوما ..) لكثرة الحمولة الدلالية فيها و قوتها و عمقها و مراوغتها .. و براءتها ..

المحتوى الأول : و هو ما دلت عليه ظاهر العبارة ، و ليس مقصودا .

المحتوى الثاني : **أنه يحب فطيمة حتى العشق و بسبب حبها يتعذب و يسخط على واقعه و على ضعفه ...**

الركيزة اللغوية : صنف الدكتور تمام حسان المعنى إلى ثلاث أصناف إما عرفي و يتفرع إلى ثلاث – وظيفي – معجمي – دلالي ، أو دلالي و فيه انفعالي – حسي ، أو ذهني و فيه منطقي – استدعائي ... يقول عن المعنى الذهني : إذا كان الوصول إلى المعنى العرفي يتم بواسطة الاستقراء فإن الوصول إلى المعنى الذهني يتم بواسطة الاستنباط . ذلك أن المعنى العرفي موجود بالقوة في المعهود الفردي و في الذاكرة الجماعية ... أما المعنى الذهني فغير موجود لا بالقوة و لا بالفعل ، و من ثم افتقر إلى نوع آخر من الاستدلال و هو الاستنباط الذي قد يصيب فيكشف عن معنى ذهني صائب و قد لا يصيب فيظل المعنى في دائرة العدم [1] مفتقرا إلى استدلال أفضل . و قد يكون الاستدلال بواسطة الاستنتاج كما يكون بواسطة الاستدعاء و في كلتا الحالتين يكون المعنى بحاجة إلى نشاط ذهني . فإذا قلت و أنت طالب بكلية الآداب مثلا : أنا ذاهب إلى الكلية ، علم السامعون من أفراد أسرتك أنك تقصد كلية الآداب دون غيرها ، و ذلك بحكم العهد الذهني الذي يربط بين الملقي و المتلقي في هذا الموقف . و إذا قلت : رأيت اليوم فلانا يصلي الجمعة ، و كان معروفا عن فلان أنه مسافر ، فهم السامعون بلازم المعنى أنه قدم من السفر ، و إذا قال لك رجل معروف بالجبن : أنت بخيل ، فقلت له : و لكني غير جبان ، فسوف يعلم بمفهوم المخالفة أنك تعيره بالجبن. فالعهد الذهني و لازم المعنى و مفهوم المخالفة و نحو ذلك مفاهيم ذهنية غير عرفية تومئ إلى المعنى و تلقي على الذهن عبء الوصول إليه بجهد منطقي لا يلزم فيه أن يكون صوريا ... جملة القول أن المعنى الذهني في الاتصال اللغوي ليس نتيجة قياس منطقي

[1] - و هذي مهمة التأويلية .

صوري ، و إنما هو **نتيجة علاقات ذهنية متنوعة تربط المدركات و المفاهيم معا بواسطة التداعي الذهني .** [1]

و عليه بواسطة التداعي الذهني نستدل على أن الظاهر من العبارة غير مراد و أن الرسائل القاسية في نظرات أمه هي من دفعته للإنكار كما أن لفظة أقصد تعد استدراكا على إنكاره .

وضعه : هو تضمين بامتياز

تكونه : أولا السياق العام للرواية ، و هذي بعض من فقراتها الدالة : «... و رغم إدراكنا أنا و السعدي أن التي بيننا فتاة ، و سعي كل منا إلى الظهور بشكل أفضل أمامها ، إلا أن الأمر ظل سرا بيننا ، فلا أحد يعترف للآخر بأنه يريد إزاحته تماما ، معركة صامتة ، كنت أحب أن أرى فطيمة تجري فيتحرك شعرها الحريري و كلما هبت ريح استدرت سريعا نحوها لأرى كيف تعبث الريح بخصلاته ، لم أن أعرف معنى فتاة ، لهذا ظلت دهشتي قائمة كلما التقيت فطيمة ...»[2] و يقول «... فطيمة بجسدها المبهر ، الذي تعودت على الاحتفاء به أكثر من أي جسد أنثوي آخر في العالم ...»[3] و يقول : «... عندما جاءتني ليلا منذ أسبوع أكدت لي أنها لم تنس حياتنا معا ، قالت إن أخباري لم تكن مقطوعة عنها ، كنت سعيدا لأنها تخبرني بهذا ، و لكني أشعر بالخوف من عين قد ترصد وقوفها عند الباب ، أدخلتها غرفتي خلسة و بتنا طوال نحكي سرا ، ضحكنا كثيرا رغم الضيق الذي يلف مصيرنا ، أخبرتني بالكثير من الحكايات الساذجة التي حولت حياتها من فرح إلى كابوس ، لم تكن تستطيع أن تذكر اسم صالح زوجها ، و لا والدها ، و اكتفت بالحديث عن كل منهما بضمير الغائب بينما أستنتج أنا أيهما تقصد ، شعرت أن ألمها اتسع و على أن أضيقه ، اقترحت عليها أن تبقى عندنا و يحاول والدي أن يسوي الأمر ، في ليلتي تلك غفت فطيمة و لم أغف ، تأملتها في نموها الباهر ، تحولت من فتاة ندية إلى امرأة كاملة النضج ، كان الفجر أقرب من كل الأمنيات ، مررت بأنفي حولها عنقها و شممت رائحة الحياة التي لم أعرفها ، و تصورتها فلو أخب .. أعدت قراءة جسدها كما كنت أفعل في الطفولة ، كان

[1] - تمام حسان . اجتهادات لغوية . علم الكتاب . القاهرة . ط 1 . 2007 . ص 166 و ما بعدها . و انظر مقالات في اللغة و الأدب له . عالم الكتب . القاهرة . ط1 ج 2 . 2006 . ضمن العنوان قضايا الحداثة في اللغة العربية ص 263.

[2] - وصية المعتوه . ص 38 -39 .

[3] - نفسه ص 54 .

منسقا ليكون لأمير ، كانت معدة لتكون سعيدة .. فما الذي جرى ؟ كانت تلك القراءة أكثر متعة من أي كتاب ، كان نصها ما يشتهي القلب و العقل .. يقول الرائي : عندما غادرت فطيمة كنت تستعد للمغادرة خلفها ، أردت أن تمسك يدها و تجريان بعيدا إلى حيث لا يمكن لعين أن تصل إليكما ، بدا الطريق ورديا ناعما ، و أنت تشد يدها و تتبادلان ابتسامات الفرح دون كلمة ...إلى .. شظايا جديدة ..»[1] و يقول : «.. كان قاسيا و هو يروي كيف ابتذل فطيمة ، هل يمكن للسعدي أن يفعل أمرا مشابها مع فطيمة ؟التهمني الشك و القهر ، شعرت أني الرجل الأكثر ضعفا و الأكثر تضررا في العالم ، كانت تلك اللحظة تقاطعا بين الفقدان و الانهيار ، نهاية محتملة ، لست أعلم كيف مررت من نقطة الموت تلك إلى نقطة القتل لاحقا ، لم أكن أعرف أيهما الحقيقة و أيهما الكذب ، فطيمة و السعدي عذابان متوازيان قد لا يلتقيان ، لكنهما يصبان في قلبي .»[2]

كل هذه المقاطع و غيرها كثير مشتت عبر صفحات الرواية شاهدة بما لا مجال فيه للشك بصحة هذا التضمين الخطير ، الذي تكمن خطورته في تشكل نفسية هذه الشخصية المضطربة المعذبة ، و من هذا المنطلق أعني الاضطراب و العذاب فإن حساسيته لا تتحمل تلك النظرات من والدته المتفائلة بينما يراها قاسية و مؤلمة لأنه يعلم استحالة الوصل لقوة تلك العقبات و أكبرها صديقه و عدوه في نفس الوقت السعدي .

لكن ما الدافع لإنكاره بهذه الصراحة ؛ إنها لعبة من الكاتب قبل أن تكون براءة و خجلا من الراوي ؛ لعبة الغميضة كما سماها بنيامين benjamin و مفادها : « (من الممتع أن يختبئ المرء ، لكن إن لم يعثر عليه أحد ، فهنا الكارثة). و تكمن متعة الشخص الذي يرمز في حجب نيته التواصلية التداولية الحقيقية ، أن يراها تفتضح بعد حين ، حسب رغبته بينما تكمن متعة الشخص الذي يفك الترميز في التوصل إلى حل هذا اللغز الذي تشكله الصياغة غير المباشرة . و يشعر كلاهما في نهاية المطاف بمتعة تواطؤ مماثلة لتلك التي تنتاب الشخص حين يلعب لعبة الأحاجي .»[3]

---

[1] - وصية المعتوه . ص 57-58.

[2] - نفسه . ص 99 .

[3] - كاترين كيربرات أوريكيوني . المضمر . ص497-498.

1-7- التطهير[1] :

لقد عنون الكاتب لهذا الفصل بالتطهير ، و التطهير مصطلح استعمله أرسطو في وظيفة الشعر « أما أرسطو فإنه يؤمن بأن التراجيديا تنمي عاطفتا الشفقة و الخوف لكنها تجعل المشاهدين أكثر قوة من خلال التطهير فعند مشاهدتنا لتراجيديا أوديب ملكا مثلا ، ذلك الملك الذي انتهى إلى قتل أبيه و الزواج من أمه دون أن يعرف و حينما عرف فقأ عينيه و هام على وجهه ، فإننا نشعر بالشفقة على البطل التراجيدي لأن الكوارث التي حلت به لا يستحقها ، كما أننا نشعر بالخوف لأن ما حدث للبطل قد يحدث لنا ، و من خلال الشفقة و الخوف تتطهر عواطفنا . فالتراجيديا تتيح لنا تصريف العواطف المكبوتة الزائدة .. أي تجعلنا أكثر توازنا من الناحية الانفعالية و العاطفية و بالتالي فإن المشاهد يشعر بالراحة و القوة .»[2] و الأكيد أن الكاتب لم يذهب إلى هذا المعنى باختياره هذا العنوان . و هذا ما يدفعنا للتساؤل عن هذه العناوين الفرعية في الرواية هل هي جزء من الوصية أم هي من اقتراح الروائي؟ و بالتالي فإن سلطته على النص ما زالت مهيمنة ، عندها هذا العنوان يحيلنا إلى التحليل النفسي عند فرويد و يفسر حقيقة الصراع الداخلي الذي يعيشه إدريس المعتوه ؛ « إن فرويد يجعل من الصراع أساس الشخصية فكل إنسان يعيش صراعا عميقا خفيا بين الأنا الأعلى و اللا شعور **و من يضعف في مواجهة هذا الصراع ينحدر في كل ألوان التقلقل و العصاب .»**[3] و بالتالي فلا سبيل إلى العلاج و الخروج من هذه الحالة إلا بالتطهير التي هي أساس التحليل النفسي في نظرية فرويد التحليلية يقول فرويد : « و المريضة نفسها قد أطلقت على هذا العلاج الجديد من نوعه اسم talking cure العلاج بالمحادثة و كانت تسميه أيضا مازحة : باسم chimney sweeping تنظيف المدخنة . و سريعا ما لوحظ أن تنظيفا للنفس كهذا لم يقتصر على أن يبعد بصفة وقتية الاختلاط الذهني الذي كان يتجدد باستمرار ، بل زالت الأعراض المرضية أيضا عندما أبرزت المريضة عواطفها و تذكرت المناسبة التي حدثت فيها هذه الأعراض لأول مرة .»[4]

---

[1] - وصية المعتوه . ص 104.

[2] - شكري عزيز ماضي . في نظرية الأدب . بيروت . ط 1. 2005. ص 35 .

[3] - سقموند فرويد . خمسة دروس في التحليل النفسي . دار المعارف . القاهرة . د ط . د ت . ص 14 .

[4] - السابق ص 23-24.

و عودا على بدء يمكننا تحديد بعض المحتويات لهذه اللفظة التطهير :

المحتوى الأول : **التطهير من إثم الجريمة**

الركيزة اللغوية : الحذف في شبه الجملة من (إثم الجريمة) و دل على هذا الحذف السياق السردي للرواية فبعد ارتكابه لجريمة القتل و هروبه و عذابه النفسي من أثر هذه الجريمة فمن الطبيعي أن يطلب التطهير لنفسه منها .

وضعه : افتراض مسبق

تكونه : إن تسلس الأحداث في خلال السياق العام للرواية يحيل على هذا المحتوى .

المحتوى الثاني : **العلاج بالتحليل النفسي**

الركيزة اللغوية : الدلالة الاصطلاحية للفظة تطهير في علم النفس التحليلي . حيث أن تذكر العقدة و مواجهة النفس و التصريح بما يشكل الأزمة من شأنه أن يعجل بالشفاء و في هذا الفصل بعض من هذه المواجهة حينما كان يتذكر فتسبب بكسر مرآته .

وضعه : تضمين

تكونه : أولا : أسلوب المفارقة و إحداث البلبلة لدى القارئ ، وذلك أن يكون للعبارة معنيين أحدهما قريب متبادر متداول و آخر بعيد ، و عند الوهلة الأولى نظنه ذهب للأول لكن بعد الغوص في الرواية أكثر ندرك أنه أراد الثاني البعيد و قد مر بنا ذلك في عنوان الرواية و شرحناه و كذا العنوان الفرعي صاحب الوصية يموت أخيرا ، فهناك أحدث المفارقة لكن السياق السردي العام كشف اللثام عن هذه المفارقة و بين المقصود منها .. كذلك هنا يحدث المفارقة فنتوهم أنه عنى بالتطهير التطهر من إثمه لكن السياق السردي داخل العنوان قصد لأمر آخر إنه التطهير الذي جاء به فرويد حيث الانتقال و التحول « غادرت الجميع و وضعتني في مقام آخر »[1] « بدأت أشعر أني رجل مقدس ، تمنيت أن أرى وجهي الآن في نشوتي هذه .. و إذعانا مني للقداسة التي لبستها أو لبستني .. »[2] « أشعر أن قديسا تطهر سيفتح له الباب من تلقائه ..»[3] إنها ظاهرة التحويل أو التحول التي تكلم عنها فرويد فبطلنا الآن في حالة من التحويل بعد ما فضفض بكل ما لديه الآن هو

[1] - الوصية ص 104 .
[2] - نفسه ص 105 .
[3] - نفسه ص 106.

يواجه نفسه و يستسلم من الصراع الداخلي طالبا راحتها .. يقول فرويد : « التحويل ينشأ بصفة عفوية . في جميع العلاقات البشرية مثلما ينشأ في صلة المريض بالطبيب فينفد في كل مكان التأثير العلاجي .. فالتحليل النفسي لا يخلق التحويل خلقا ، و إنما يكشفه ..»[1]

ثانيا : الرمزية الصوفية من خلال السياق السردي داخل هذا الفصل فهو يصف نفسه بالقديس و الولي .. و يذكر الكرامات و أصل تسميته العائدة إلى ذاك الولي الصالح «.. بدأت أشعر أني رجل مقدس... جيل لا يحترم الكرامات .. »[2] تقول آمنة بلعلى : «و لقد عبر المتصوفة باللغة ... و شكلوا نسقا خطابيا مختلف المكونات و الظواهر النصية ... قصد بلوغ هدف معين ، هو التعبير عن تجربتهم في الاتصال بالله ، و هي تجربة معرفية عاطفية»[3] ، فكلمات مثل : الولي ، المقدس ، الكرامات كلها تصب في هذا الاتجاه ؛ اتجاه النقاء و التطهر الروحي و النفسي ..

[1] - سيغموند فرويد . خمسة دروس في التحليل النفسي . ص 92.
[2] - الوصية ص 106.
[3] - آمنة بلعلى . تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة . دار الأمل . تيزي وزو. د ط . د ت . ص20 .

الخلاصة :

رواية (وصية المعتوه) حوض زاخر بالمضمرات ، إن على سبيل الافتراض المسبق أو على سبيل التضمين .

أما الافتراض فلا يكاد يجيء مقصودا إلا فيما ندر مثل : أن هناك تعارف على القتل في قوله : لماذا نقتل ؛ فهو يوحي بالجو السائد للعشرية السوداء في الجزائر من كثرة القتل و ذيوع الفتن . و هذا ما يخدم الفكرة التي توحي بها الرواية أو على الأقل ما دار في خلدي و أنا أربط خيوط الوهم و أستفسر كل أيقونة على حدة ، لأعمل آلة التأويل فأذهب برأي في جسم الرواية كله ، فلا الشخوص شخوص و لا الأماكن أماكن ؛ إنما هي رموز للوطن الكبير و الأنا في هذا الوطن و الحاكم لهذا الوطن و القضية في هذا الوطن .

أما التضمينات في وهلتها الأولى تشرح حال إدريس في حيه سان ميزو في بلدته الجلفة، و في مرحلة ثانية من القراءة تتضافر الافتراضات مع المضمنات لتعطيك صورة الوطن في الحي و المدينة و صورة الشعب في المعتوه إدريس و صورة الحاكم في السعدي و أخيرا صورة القضية في مثال فطيمة ؛ ففطيمة هي قضية الوطن ، حيث الصراع الدائم حولها بين الشعب و بين من يحكمه .

لقد باتت **الرواية سياسية** بامتياز من خلال التأويل الذي يحلل نفسية الشعب المتهالكة ؛ نفسية مضطربة انعزالية ، تؤثر الخمول ، لوامة ، تعيش الوهم و رأس مالها هو الأماني المستحيلة ، ففي صدر كل فرد من الشعب ضغينة من نوع ما لحكامه ، يتمنى أو يتخيل أن ينتقم منه ليخلص الأمة من شره و ينقض الوطن من براثينه لكن الذي فعل فعل الانتقام هو الحاكم الحاقد على شعبه ، صورة تختلط فيها الأوهام فلا تدري أيهما القاتل و أيهما المقتول، في النهاية حرمان و ضياع و تساؤلات تحز في النفس ، ما الذي حدث ؟ ماذا جرى ؟ متى ؟ كيف ؟ من و من ؟ أين إدريس ما الذي حدث له ؟ لم لم يرجع ؟ ما الذي تركه ؟ أهي وصية أم حكاية ؟ وصية بالقضية و أن لا نفرط فيها ؟ أم وصية بالهروب ؟ هل ندم إدريس حينما لم يواجه ؟ لماذا اختار القتل و هو لن يستطيع أن يقتل بعوضة ؟ لماذا اختار بالفعل الرسم على الجدار ؟ هل هو نوع من الاستشفاء بالتحويل و التعالي كما يقول

فرويد؟ لماذا كتب سيرة حياته حتى بأوهامها و وساوسها ؟ لماذا سماها وصية ، إذا الوطن و قضيته هما وصيته ، لكن بماذا وصانا ؟ ؛ نعم لقد وصانا ألا نقتل الوطن .

في النهاية نخلص إلى أن المؤلف بحسه المسرحي استطاع أن يجعل من الرواية ركحا تمثل فيه شخوص هي رموز و مكان هو الوطن .

الجلفة – حي ديارالشمس ← الوطن

فطيمة ← قضية الوطن

السعدي ← السلطة

إدريس ← الشعب

أما قولنا **بحسه المسرحي** فهو معروف عنه الكتابة المسرحية ثم إنه استعمل بعض من المصطلحات المسرحية على غرار مصطلح التطهير .

و دعوى أن فطيمة هي قضية الوطن فلطالما شبه الكتاب و الشعراء و الفنانين القضية بالمرأة و هذا معروف متداول ، فشبهوا القضية الفلسطينية بالمرأة في غير ما قصيدة أو رواية فهذا درويش ديوانه مليء بها و كذا نزار قباني أما الروايات الدرامية فهي مليئة بها و كذا المسرحيات و الفنون التشكيلية و الكاريكاتيرية .

و قلنا أن السعدي هو السلطة في هذا الوطن ؛ فكل الامتيازات التي يتمتع بها تتمتع بها السلطة ؛ فشكله يشبه الغربيين الشعر الأصفر و العيون الزرقاء ثم أن أسرته دخلاء على الحي و السلطة تتشبه بالغرب في كل المظاهر الحياتية ، ثم إنه متسلط يمثل مشروع أذى لا يمكن أن يترك إدريس لأن وجوده و إحساسه بذاته لا يكون إلا و إدريس قريب منه يسلط عليه أذاه الحسي و المعنوي .

أما إدريس فهو الشعب محكوم فيه لا يستطيع أن يفلت من قبضة السعدي قد فقد وعيه منذ مدة ، فهو يعش الألم في كل حين ، يبحث عن السكينة ، يريد الدعة ، يكره المشاكل التي يورطه فيه السعدي في غير مرة ، يعيش حالة من الهلوسة و أحلام اليقظة ، يخيل له اللاشعور أنه قتل السعدي و أنه ينتظر جزاءه لكن في الواقع لا يرى أي جزاء ، كل شيء عادي ، ليعاود الهلوسة فيرى أن السعدي هو من قتله و أنه هو المقتول ، و كيف يكون

مقتولا و هو الراوي لقصة قتله ؟ إذا السلطة تسببت في قتل الشعب و إيصاله لهذه الحالة من فقدان الوعي و التيه و الهلوسة .

الخاتمة :

قد سبق الإثبات مع جميل حمداوي في مقاله الآنف الذكر بأحقية التداولية بدراسة الإبداع الأدبي ؛ و كان لنا الاتكاء على خطة و نظرية كاترين كيربرات أوريكيوني في كتابها الماتع المضمر لدراسة البعض من جوانب المضمر في رواية وصية المعتوه فخلصنا إلى أن :

رواية وصية المعتوه كلها مضمر لتشريح حالة وطن عاش أسوء عشرية .

و أنها رواية سياسية بامتياز .

و أن البحث في المضمر بحث في فك الترميز و الإشارات البعيدة و المقاصد غير المعلنة .

و البحث في المضمر قد يوصلنا إلى نتائج قد لا تكون من مقاصد المؤلف و إنما أوصلنا لها النظم اللغوي و الأعراف اللغوية السائدة .

أن البحث في المضمر يكشف لنا أساليب الكاتب و تقنياته للدلالة على مقاصده و ما يريد إبلاغه ، ففي هذه الرواية يلتجأ إلى أسلوب المفارقة لأحداث البلبلة في عقل القارئ دون أن يفلت منه خيط التشويق ليلقي به في أتون الحيرة فلا هو يشفي غليله بنهاية واضحة و سرد محكم و لا هو يكشف له عن نواياه ، و أن الشخوص و الأماكن و الفضاءات ما هي إلا أيقونات في صفحة حياتنا نحتاج فقط أن نربط بين خيوطها و نميل ببصرنا قليلا لنستطيع الرؤية من الزاوية الواضحة .

هذا و قد استطاع الكاتب أن يوظف الأماكن و الشخوص و الأحداث في ذلك الحي ، إلا أنه لم يستطع أن يفصل بين أسلوب الصوتين بالكامل ؛ صوت أخ إدريس في البداية و النهاية و صوت إدريس المعتوه في الوصية ، لولا السرد فرق بينهما لتماهيا .

و الحمد لله أولا و آخرا

الفهرس

المقدمة 04

القسم الأول :

1- التداولية 07

2- وظائف التداولية 14

3 - تطور مفهوم المضمر في الدرس التداولي 16

1-3 - خصائص الإضمار 16

2-3- أقسام المضمر 20

3-3- الافتراض المسبق 21

1-3-3- تحديد المفهوم 21

2-3-3- عملية الافتراض و العلاقة التضمينية 22

3-3-3- عملية الافتراض و الإعلام 22

4-3-3- وضع الافتراضات التعبيري الأدائي 23

5-3-3- الافتراضات و تسلسل الكلام 23

6-3-3- أنماط الافتراضات 24

4-3- المضمنات 25

1-4-3- التحديد 25

2-4-3- طبقات المضمنات 26

1-2-4-3 - نمط ترسيخ المضمن 26

2-2-4-3- تكون المضمن 26

3-2-4-3- طبيعة محتوى المضمن 27

القسم الثاني

1- الرواية الجزائرية..... 29
2- التعريف بالكاتب 30
3- التعريف بالرواية : 31
4- ملخص الرواية 32

القسم الثالث

1- وصية المعتوه ، كتاب الموتى ضد الأحياء : التحليل 35
1-1- جدوى دراسة المضمرات في الرواية الأدبية 35
1-2- العتبـــة 37
1-3- المضمرات في (صاحب الوصية يموت أخيرا) 43
1-4- المضمرات في : بين المقابر الثلاث .. و بمحاذاة الوادي.... 46
1-5- لماذا نقتل ؟ 46
1-6- و لكني لم أحب فطيمة يوما 49
1-7- التطهير 52
الخلاصة 55
الخاتمة 58

المصادر و المراجع:

- اسماعيل يبرير . وصية المعتوه .. . دارميم للنشر . الجزائر . ط 1 . 2013
- آمنة بلعلى . تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة . دار الأمل . تيزي وزو. د ط . د ت .
- آن روبول و جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل ت سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة .بيروت.ط 1 2003.
- تمام حسان . اجتهادات لغوية . علم الكتاب . القاهرة . ط 1 . 2007 .
- تمام حسان .مقالات في اللغة و الأدب له . عالم الكتب . القاهرة . ط1 ج 2 . 2006
- جميل حمداوي . المقاربة النقدية في الأدب و النقد (مقال) 6 كانون الثاني (يناير) 2012
- خليفة بوجادي .في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي.بيت الحكمة . الجزائر.ط 1 2009
- سقموند فرويد . خمسة دروس في التحليل النفسي . دار المعارف . القاهرة . د ط . د ت .
- سيد هاشم الطبطبائي . نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب .مطبوعات جامعة الكويت . الكويت.د ط .1994
- شكري عزيز ماضي . في نظرية الأدب . بيروت . ط 1. 2005.
- فيليب بلا نشيه . التداولية من أوستن إلى غوفمان . ت: صابر الحباشة .دار الحوار. سورية .ط 1 .2007.
- طه عبد الرحمن . اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي . المركز الثقافي العربي . المغرب . ط 1 . 1998.
- كاترين كيربرات أوريكيوني . المضمر . ت ريتا خاطر . بيروت . ط 1 2008.
- لسان العرب
- http://www.forum.3almani.org/viewtopic.php?f=7&t=505 سالمة صالح فرج